فرويد

حيـاته وتحليله النفسى

مراجعة الاستاذ الدكتور

احمـد عكاشـــة

استاذ الطب النفسى بكلية طب عين شمس

دار ومطـابع المسـتقبل

بالفجالة والاسكندرية

مؤسسة المعارف للطباعة

والنشر ببيروت

نشأة فرويد تصوغ حياته وأفكاره

اذا كان حقا ما يقول به السلوكيون ، من أن حيـــاة الفرد تتأثر تأثرا دائما بنشأته وبسنوات حياته الاولى ؛ فان حيـــاة سيجموند فرويد Sigmund Freud (وينطقونها بالالمانيـــة التي تكلم بها : فرويت) قد تأثرت تأثرا كبيرا بتلك النشأة وتلك الســـنوات الاولى من حياته •

فقد ولد سيجموند في فرايبرج بمقاطعة مورافيا (الان بريبور بتشيكوسلوفاكيا) في ٦ مـــايو ١٨٥٦ • وكان والداه يهوديان من من أصل نمساوى • وكان والده جاكوب Jacob تاجرا صغيرا للاصواف ، وجده لوالده من القساوسة اليهود •

وأما والدة سيجموند فكانت صبية صغيرة ، تزوجها والده بعد ما جاوز الاربعين ،وبعد وفاة زوجته الاولى أمـــالى Amalie

ولم تكن الام حين ولد سيجموند قد تجاوزت العشرين من عمرها

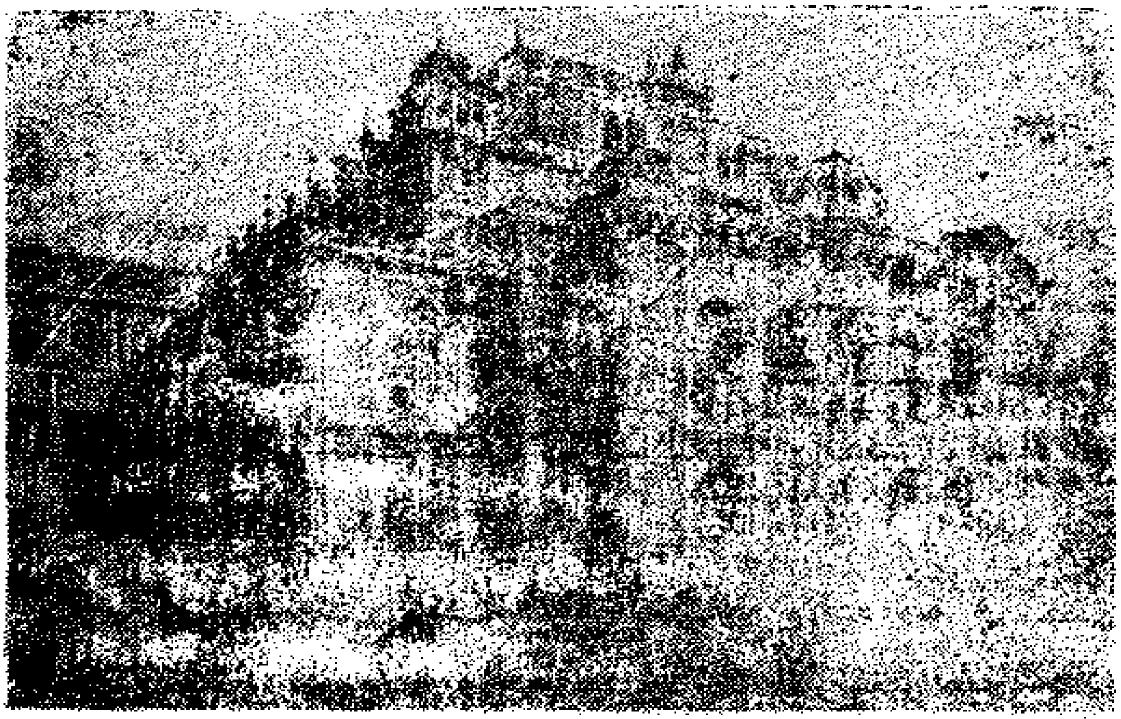
وكان سيجموند هو الابن الوحيد لوالدته ، اذ توفى بعد ولادته

بعام ابنها الثانى ، يوليوس Julius ، وهو الذى ذكر فرويد أنه كان « يغار منه غيرة شديدة » • ولكن كان للاب أبناء عديدون من زوجته الاولى • ومن هؤلاء رجلان بالغان • وقد تزوج أحدهما وقت زواج والده الثانى ، وأنجب ابنا أسماه جون John كان رفيق سيجموند فى صباه • وقال عنه سيجموند أنهما كانا « يحيكان مؤامراتهما الصغيرة معا » •

ولم يحقق والدسيجموند من تجارته فى الاصواف أى كسب مادى كبير • ولذا تراوحت أحوال الاسرة الكبيرة بين الفقر والاعتدال ، ولم تبلغ بها الحال قط حد الغنى • واضطر الوالد ، جاكوب ، أن يرحل بأسرته مرتين • الاولى الى لايبتزيج (الان المانيا الشرقية) والثانية فى ١٨٦٠ الى فيينا ، العاصمة القديمة لامبراطورية أوروبا الشرقية • والتحق سيجموند بمدارس فيينا الثانوية منذ عام ١٨٦٥ •

وقد وصف تلميذ فرويد ومؤرخه ، أرنست جونز Jones علاقات سيجموند بأفراد عائلته الكبيرة بأنها كانت « شديدة التعقيد » • وقال أن محاولات سيجموند « كشف معانى العلاقات الغامضة بينه وبين أفرادها الكثيرين كانت قلقة» •ولكن هذه العلاقات كانت هى بداية فهم فرويد للعلاقات الانسانية عامة •

وقال ريتشارد فولهايم Wolheim أن حب فرويد لوالده ، وتقديره له « قد اختلط عنده بالحسرة عليه ، كما بالخوف منه » وأن عواطفه « الحسية الحارة نحو والدته ، وامتعاضه من أخوته



فيينا فى نهاية القرن التاسع عشر
وتمثل الصورة دار الاوبرا الشهيرة بها

الكثيرين الذين يفوقونه سنا ومرتبة . قد تركت آثارها فيه . وأن صور الكبار منهم قد حلت عنده محل صـــورة الاب . بينما كانت غيرته من صغارهم شديدة » .

وقد عاش سيجموند فرويد أكثر حياته فى فيينا ، فلم يبارحها الا لرحلة أو مؤتمرأو أجازة . ولكن ذكرياته فيها لم تكن سعيدة . ويلاحظ القارىء أننا نؤكد على هذه التفاصيل ؛ لان سيجموند حين أخذ بعد ذلك فى وضـــع نظرياته قد نظر . كما يقول فولهايم . الى نفسه والى أسرته ، قبل أن ينظر الى مرضاه ، ثم الى سائر الناس فهذا طبيب يهودى شاب ، من عائلة متوسطة ، بل نكاد نقول فقيرة فى مجتمـــع شـــديد المحافظة ، هو مجتمـــع احتضـــار العـــاصمة الامبراطورية الكبـــيرة . وهو ينظر بحكم تلك النشـــأة نظـــرته الخاصة ، لا الى العالم وحده ، وانما للعائلة والجنس والمرأة الخ مما سيأتى الكلام عنه .

يقول سيجموند فرويد انه كان يمشى مع والده يوما فى أحـــد شوارع فيينا . فاصطدم والدهبأحد أبنائها الارستقراطيين . فما كان من الاخير الا أن ..

« أمسك بقبعة والدى الجديدة ، فالقى بها فى وحل الطريق ، وهو يصرخ فيه : يهودى . يهودى . انزل من فوق الرصيف . لا تمشى فوق الرصيف يايهودى » .

ويضيف سيجموند أن والده لم يرد عليـــه بكلمة . وأنه التقط القبعة الجديدة ، والتى اتسخت بأوحال الطريق ، وانصـــرف من أمامه فى سكون ! .

ويقول سيجموند فرويد أيضا أنه قد أحس . منذ صباه ..

« باختلافه عن الغالبية العظمى من أبناء فيينـا المسيحيين . وبانفراده . وبوحدته . وبحاجته الى الاعتماد على نفسه »

وليس من شك أن هذه المؤثرات قد أثرت فى سيجموند تأثيرا شديدا فجعلته مثابرا ، عنيدا ، حتى أصبح يرفض معارضـة . بل مناقشة ، أقرب الناس اليه . مما أدى فى أحيان كثيرة الى اختلافه مع عدد من أهم أصدقائه وتلاميذه .

وقد لقى سيجموند فى فيينا عنفا وكرها شديدين . فقد حاربه أطباؤها وعلماؤها فى بداية حيـاته . ولم يعترفوا بعبقريته الا مكرمين . ولا يزال الزائر لقاعات جامعـة فيينـا الى اليوم . يدهش من وفـرة التماثيـل المتناثرة فى أنحائها ، وجلهـا لاسماء غير لامعـة فى حقول العلوم الانسـانية ،وصغر وانزواء تمثـال سيجموند فرويد بينها ! .

هاو للفلسفة ودارس للطب

تمتع فرويد منذ حداثته بخيال واسع • وكان يتمثل نفسه غازيا من غزاة العالم كهنيبعل أو نابليون • ثم شغف بالقراءة • وكان ميالا الى الفلسفة •

وقد انحاز الى جانب المجددين والثائرين من العلماء وقتئذ ، من أمثال برنتانو وديه بواه وهيلمو هلتز وفيخنر وكيشنج وهوسكنز وفريمان وبافلوف • ويذكر فرويد أنه قد دخل كلية طب جامعة فيينا بعد تردد طويل ، وعقب قراءته لمقال عن « الطبيعة » لجيته • ويقال أن فرويد قد أحب جيته منذ حداثته ، ولكنه كان « يتجنب » نيتشه • وأنه لم يقرأ شوبنهور حتى سنوات حياته الاخيرة •

دخل فرويد كلية طب جامعة فيينا فى عام ١٨٧٣ ، وتوقف عن الدراسة بها شهورا خلال عام ١٨٨٠ لاداء الخدمة العسكرية • ثم عاد اليها ، وأتم تعليمه الطبى فيها فى العام التالى ١٨٨١ • ولكنه عمل خلال أعوام دراسته النهائية مع اثنين من كبار الاطباء

النمساويين فى زمانه . وهما مينرت Meynert وبريكه Bruche وقد أثرا فيه تأثيرا بالغــا • ووجهه الثانى . خــلال عمله معه بين الاعوام ١٨٧٦ و ١٨٨٢ فى معهــد الفسيولوجيا الذى كان يديره ، الى دراسة التشريح الباتولوجى • وقد ذكر فــرويد « أن بريكه هو الشخص الذى اثر فى حياتى أكثر من أى انسان آخر » • ثم عرف فرويد فى عام ١٨٧٨ أستاذه وزميله بروبير Breur وعمل فى عيادته بعد ذلك سنوات •

وقد حاول فــرويد عند تخرجه آن يعمل بالبحوث فى جامعــه فيينا • ولكنه لم ينجح فى هذا رغم شدة ميله لذلك • وهذا ، كما قال بنفسه . ليهوديته • فالتحق بعيادة بروبير . وتوثقت عــلاقته به خلال الاعوام التالية . وحتى عام ١٨٩٥ • حتى انقطعت تماما كما سيجىء ، فى ١٨٩٦ •

وفى خلال هذه الفترة الاولى من حيــاة فرويد ، قبيــل . وأثر تخرجه من كلية طب فيينا . درس فرويد فى المستشفى العام بفيينا وعيادة بروبير أعمالا شتى • منها على ســبيل المثال : ميكانيكية التنفس فى الطيــور ، ووظائف قنوات الاذن ، وطريقــة سباحــة الاسماك ، وتشريح أجنة الطيور • على أن أبرز دراســات فرويد فى تلك الفترة كان خلال العامين ١٨٨٣ ، ١٨٨٤ على مفعول الكوكايين كمخدر موضعى وكعلاج لبعض الامراض النفسية • ويقــال أنه كان على وشك تحقيق كشف تأثــير الكوكايين كمخــدر لولا تحوله عن متابعة بحوثه الى نواح أخرى فى العلاج النفسى •



العالم النمساوى الشهير بريكه الذى
تتلمذ عليه فـــرويد فى شـــبابه

وقد أجمع الدارسون . من بين أصدقاء وأعداء فرويد على السواء . على أنه فى دراساته كان واسـع الاطلاع . دقيقا أشـد الدقـة . وأنه قد نبـغ على الخصوص فى فسيولوجيا الخـلايا العصبية وكمعالج للامراض العصبية .

يقـول فرويد :

« ان مواهبى ، او قدراتى محدودة للغاية . فليس لدى منها شىء للعلوم الطبيعية ، او للعلوم الرياضية . وليس لدى منها شىء للقياسات الكمية .ولكن يلوح لى ان ماعندى من موهوب او قدرات صغيرة ، حاد للغاية » .

ويضيف فرويد :

« ان تقديرى لانجـازاتى كبير جدا . ولكن تقـديرى لنفسى لايماثلها كبرا . لقد كان على الانســانية على طول الزمن ان تتلقى عن يد العلم الحديث ضـربتين قويتين ، حطمتا حبهما الساذج لنفسها . الاولى عندما تأكد لهـا ان الارض ليست هى مركز الكون ، ولكنها جزء صغير من نظـام عالمى لانكاد نحيط باتســاعه . وتقترن هـذه الثورة باسم كوبرنيكوس Copernicus **، مع أن بعض تعـاليم الاسكندرية قد سبقت الى شىء منه . والثانية عـندما جردت البحوث البيولوجية الانسان من نوعيتـه المنفردة كمخلوق . مميز عن غـيره من المخلوقات ، وطوحت به ، مؤكدة نوعيته الحيوانيـة ، وسط عموم الحيوانات . وقد تمت هذه الثورة الثانيـة فى زماننا بايعاز من تشـارلز داروين** Darwin **وولاس** Wallace **ومن تبعهم ، وأمام معارضة صاخبـة من معارضيهم . ولكن مابقى من خيلاء الانسان يتلقى الان ضربته الثالثة والاليمة على يد الانجازات التى تحققها البحوث السيكلوجية الحاضرة فان هذه الانجازات تؤكد ان نفس كل منا لم تعد لها السيادة**

التامة . وأن الانسان لم يعد ينفرد بقصـــره الخـــاص به. وان عليــــه ان يرضى بأن يزاحمه في كامنته ، وداخـــل عقله ، دوافع وعواطف وكظوم كثيرة)) .

ويضيف الينبرجر Allenberger ، أن فرويد لم يتأثر بثورتى كوبرنيكوس وداروين وحدهما . وانما تأثر أيضا بالثورة الجنسية التى قامت خلال النصف الاخير من القرن الماضى على يد كرافت ايبنج Ebbing وهافلوك ايليس Ellis ممن سبقو الى التحدث عن أهمية الجنس فى الانسان . من دون البحث فى دوافعه وآثاره . ويؤكد الينبرجر أنفرويد ماكان مستطيعا القيام بما قام به منأعمال من دون الاطلاع الكامل ، والتأثر الايجابى . باعمال هؤلاء الرواد . ولعل من حقنا نحن أيضا أن نتساءل عما اذا كان فرويد مستطيعا أن يحقق انجازاته من دون المؤثرات الاسرية والاجتماعيـــة التى ولد ونشأ فيها ، الى جانب ماوقع فيه بعد ذلك من تأثـــير الرواد الذين تعرف عليهم .

لقد اعتبر فرويد نفسه ((فيلسوفا)) أكثر منه طبيبا . ووصف نفسه بأنه كان ((هاويا)) للفلسفة . وأنه يعتبر علمه الجديد ، أى التحليل النفسى ، فرعا من فروع العلوم الاساسية ، وليس الطبية

وكتب فى ١٨٩٦ :

((عندما كنت صغيرا كنت اتمنى ان احيط بالمعلومات الفلسفية والان ، وانا انتقل من الطب الى السيكلوجيا ، اشـــعر انني اتقدم نحو ماكنت ارغب فيه . لقد عملت طبيبا معالجـــا رغم انـــفى)) .

وقد شرح فرويد فى عشــرينات القرن الحاضر العــلاقة بين العلاج الطبى والعلاج النفسى . فقال :

« بعد اربعين عاما من النشـاط الطبى يتضح لى اننى لم اعمـل فى يوم من الايام كطبيب . وفى تقديرى أن على الاطباء الذين يرغبون فى العمل كمحللين نفســانيين ، أن يتغلبوا فى انفسهم على الجانب الذى اكدته فيهم دراساتهم الطبية ، وان يقاوموا ميولهم نحو الاعتماد على علوم الغدد والاعصاب وغيرها » .

حالة المريضة « أناأوه ANNA O »

عمل فرويد بعد تخرجه فى عيـادة أستاذه وصديقه برويـير • وتعرف فى نفس العـام ، ١٩٨٢ ، على زوجته المقبلة مارتا بـيرنيز Martha Bernayz وكانت صبيـة صغـيرة تعيش فى هامبورج ، كبرى مدن المانيـا الشمالية وقـد قابلها فرويد بعـد ذلك مرات ، وارسلها بانتظام ، ثم تزوجها فى سبتمبر ١٨٨٦ •

وقد نجح هذا الزواج بجميع المقاييس • فكانت تلك السـيدة القصيرة نوعا ، والمتوسطة الجمال ، خير عون لفـرويد فى منزله ؛ ولاولادهما الستة ، ومنظم لاعماله ولعيادته التى شغلت بعد ذلك ثلاث حجرات من منزله الكبير ، والتى كان فرويد يقضى فيها أكثر ساعات اليوم •

وكان فرويد أبا بطريركيا ، ينتظر الطاعة من جميع أفراد عائلته وتلاميذه • وكان يجتمـع بأعضاء أسرته كل ظهر على الغـذاء • ولكنهم لم يكونوا يرونه ، أو يجسروءا على ازعاجه ، فى سـاعات

عمله .وكانت تلك الساعات طويلة ، اذ كان فرويد يعقد ثماني الى عشر جلسات كل يوم لمرضاه . ثم يجلس للكتابة ساعات أخرى وكان يدخن خلال كتاباته وفى ساعات استرخائه السيجار .

وقد تعود فرويد بعد ذلك على أن يجتمع بعدد من أصدقائه مرة واحدة فى الاسبوع للعب الورق . وكان يلتقى بتلاميذه مرة مساء كل أربعاء . ولكن لما زاد عدد هؤلاء التلاميذ ، لم تعد تكفيهم حجرة عيادته . فأخذ بعضهم يجلس فيها . واكتفى الباقون بالاستماع اليه من خارجها .

وكان فرويد يتمشى بين كل حين وآخر فى شوارع فيينا ، وخلال أشهر الصيف . حول المزارع المحيطة بها . وقد زار خلال رحلاته العلمية . التى كان يقوم بها منفردا ، أنحاء النمسا وألمانيا ، وبعض أماكن فى فرنسا وايطاليا واليونان .

وعندما تزوج فرويد من مارتا ، انتقلت للسكنى معهما اخت زوجته مينا Minna وكانت أطول قامة، وأجمل شكلا، وأقوى على تحمل أعباء العمل من شقيقتها زوجة فرويد . فساعدت فى رعاية أفراد الاسرة ، وفى تدبير أمور المنزل والعيادة ، طوال خمسين عاما وحرمت نفسها مختارة من اتخاذ حياة زوجية أو مستقلة .

وقد شاء الكاتب اميل لودفيج Ludwig أن يردد سخرية يونج Jung من هذا الوضع ، ومن دون أن يجرؤ ، أحد غيرهما من أصدقاء وأعداء فرويد على السواء ، على أن يقدم شبهة أو يحكى حادثة .

* * *



استاذ وزميل فرويد الطبيب برويير
الذى عمل معه في عياده ودرس حالة أنا أوه

كان بروير عندما عمل معه فرويد من أكبر أطباء فيينا وأشهرهم عند ارستقراطييها • وكان يعالج بين عامى ١٨٨٠ - ١٨٨٢ مريضة بالهستيريا* تسمى « بيرتا بابانهايم Bertha Pappenheim وتعرف حالتها باسم « أنا أوه (Anna O) • وكانت أنا أوه فتاة جميلة فى الواحدة والعشرين من عمرها • ويقال أنها قد أعجبت اعجاباً خاصاً بمعالجها بروير ، وأن هذا قد ساعد على نجاح علاجها • ولكن أيضا على هروبه منها ، ثم قطع صلته بها •

وكانت مظاهر الهستيريا تتمثل فى أنا أوه فى شلل أطرافها ، وعجزها عن تحريك أيديها وساقيها ، واضطراب نظرها ، واختلاف دقات قلبها . ورفضها شرب الماء ، والعجز عن التحدث بلغتها الالمانية وتحدثها بالانجليزية •

وكان بروير يستقبل أنا أوه فى المساء ، فتقص عليه روايات كثيرة لا رابط بينها • فلما استبدل وقت علاجها بالصباح ، وجد أن كثيرا مما كانت تقوله قد أصبح ذا مغزى • ولما أخذ يقارن بين أقوالها المسائية والصباحية ظهرت له بضعة أشياء • وحينئذ فكر بروير فى تنويمها لمساعدته على كشف التناقض والغموض فى بعض ماذكرته له •

---

* آثرنا استخدام الكلمات المعربة على المترجمة لدقتها ، ولتسهيل الدرس في اللغات الاجنبية ، ولدلالة تأليفها فيها ، وخلوها من الشحنة المسبقة التى قد تحملها الكلمة العربية وتجنب المفاضلة بين كلمات المدارس العربية المختلفة .

وقد وجد بروبير (وكان قد بدأ يطلع فرويد على حالتها ويناقشه فيما يجب عمله معها) أن أنا أوه كانت قد مرضت والدها طوال شهور حتى وفاته . وأن كل مظاهرها الهستيرية تعود الى تلك الفترة التى قضتها فى تمريضه . وأن أنا أوه كانت . زيادة على ذلك ، شديدة الكره لمدرسة انجليزية تعلمها تلك اللغة . وأن المدرسة قد قدمت الماء يوما لكلب لها فى كوب خاص بأنا أوه . فلم تعد أنا أوه منذ هذا الوقت قادرة على شرب الماء . واستبدلت بلغتها الالمانية خلال أزماتها لغة تلك المدرسة .

وعندما كشف بروبير عما وجد لانا أوه . وأبان عن دوافع وأسباب كبتها ، شفيت أنا أوه تماما عن كل مظاهر الهستيريا . وغادرت عيادته من دون أن تعود اليها بعد ذلك .

يقول فرويد :

« ان علماء الاعصاب كانوا قد لاحظوا ان الكشف عن الدوافع المكبوته لاسباب القلق النفسي والهستيريا ، يزيل ظواهرها عن المريض . وان المريض الذى يكشف عما يدور في رأسه من أحلام بالثرثرة الى المعالج الذى يطمئن اليه ، كثيرا ما تتحسن أحواله » .

ويقول أيضا :

« ان المريض بالهستيريا يعاني من صدمة مؤلمة اثرت فيه تأثيرا دائما . وهو قد ينسى الصدمة . ولكن تنويم المريض يعيد الحادثة والدوافع التى ادت اليها الى خياله . فاذا كشف عنها الطبيب ، شفى من المرض » .

كل هذا كان معروفا عند علاج بروبير لانا أوه ، ولكن ما أضافه

بروير يومئذ هو محاولته « تنويم » المريضة لمساعدتها على الكشف عن الكبت والدوافع . وقد سمى بروير وفرويد تلك الطريقة « العلاج الكلامى Talking Cure » أو « تنظيف المدخنة Chimney Sweeping» . وأطلق عليه الفرويديون بعد ذلك اسم اسم « التطهير Catharsis »

وفى خلال تلك الفترة الاولى من حياته ، كان فرويد يجرى بحوثه التى تحدثنا عن بعضها . على أن فرويد حصل فى العام التالى ، ١٨٨٦ ، على منحه دراسية أختار لموضوعها درس «التنويم والايحاء النفسى » ولمكانها باريس ، حيث العالم الفرنسى الذائع الصيت وقتئذ شاركوه Charcot . ولم يكن أحد فى فيينا وقتئذ يؤمن ، أن كان قد سمع ، بما يقول به شاركوه . ولكن تجربة بروير مع آنا أوه ، فتحت عقل ذلك العبقرى النمساوى ، وشجعته على أن يختار بنفسه موضوع ومكان منحته الدراسية .

وقد قضى فرويد فى باريس الفترة بين ١٣ أكتوبر ١٨٨٥ و ٢٨ مايو ١٨٨٦ . فدرس فى خلال تلك الفترة اللغة الفرنسية ، وكل ما استطاع من أعمال شاركوه . وقد تابع فرويد شاركوه فى محاضراته وبين مرضاه فى مستشفى سالبترير ، وناقشه فى أشياء كثيرة ومن بينها حالة المريضة آنا أوه .

وكانت المدرسة القديمة فى درس وعلاج الهستيريا ترجع أسبابها عند المريض الى « الخيال» أو الى مرض فى «رحم»المرأة . ومن هنا سميت هستيريا . فالاسم يعنى فى اليونانية « الرحم »

ولكن شاركوه لم يكن يؤمن بهذه التعاليم القـــديمة . وكان يكرر لتلاميذه : أنظروا دائما ، وفى كل الاحوال : الى الدوافع الجنسية ومع ذلك فعندما سمع شاركوه بعد ذلك أن فرويد يرجع بعد عودته الى فيينا أكثر الامراض النفسية الى الجنس ، لم يوافقه ؛ وعـــاد يقول : ولكن هذا غير معقول ! .

من التنويم الى التحليل

عاد فرويد الى فيينا فى ١٨٨٦ ، فعمـل فى مستشفى كاسوبتز وافتتح عيادة خاصة فى جـزء من منزله • وقد اسـتمر فرويد فى شغل المنزل والعيادة ، لم يغيرهما ، حتى طورد من المدينة على أيدى النازيين الالمان فى ١٩٣٨ •

وقد ألقى فرويد بعد عودته بأسابيع من باريس محاضرة على أطباء فيينا عن طرق العـلاج التى شاهدهـا فى باريس • ولكن محاضرته لقيت فشلا ذريعا بين زملائه ، الذين سخروا من كلامه • بل أن ـــضرة أوغرت صدورهم نحوه حين كاشفهم ببعض الكشوف التشريحية والنفسية المتقدمة فى باريس عنها فى فيينا •

وقد آذت تلك المحاضرة فرويد أمام زملائه ، وأضرت بعيادته ؛ حيث بقيت بعد ذلك شهورا طويلة فيما يشبه الكساد المادى •

واستمر فرويد فى مستشفى كاسوبتز حتى ١٨٩٣ ، ولكنه تركها فى عام ١٨٨٩ لدرس التنويم على يد بيرنهايم Bernhayem

فى نانسى بفرنسا • وقد حاول فرويد أثناء ذلك ان يعود للتعـــاون مع بروير . ولكن هذا أخذ يبتعد عنه تدريجيا : لاعتقاده أن فرويد قد أخذ يولى الناحية الجنسية لمرضـــاه أكثر من حقها • وأيضــــا لوثوقه من أن تلك الشهرة التى طغت على اسم فرويد قد تصيبـــه هو أيضا . فتضر بعيادته المزدهرة وقتذاك •

على أن فرويد نجح فى ١٨٩٣ فى نشر مقالة له مع برويـــير عن « الميكانزمات السيكلوجية لمظاهر الهســـتيريا » • وفى أن ينشـــرا معا بعد ذلك بعامين . أى فى١٨٩٥ . كتابهما «دراسات فىالهستيريا» وهو الذى تؤلف حـــالة أنا أوه واحـــد من أهم فصوله • على أن ثقة بروير فى صديقه كانت قد تدهورت الى حد أن أنفرد كل منهما بكتابة بعض فصول الكتا ب• فلم يضعـــا اسميهما معـــا الا على مقدمته ! • وفى العام التالى لظهور الكتاب ، ١٨٩٦ ، أنهى بروير كل علاقة له بفرويد •

وقـــد تضمن الكتاب المذكور عـــدة حالات هستيرية أخـــرى ، رمز لاهمها بالرمز «ايمى فون أن » و « لوسى أر » و « كاترينـــا » و « كينتشيليا أم » • ولعل أهم تلك الحالات جميعا هى حالة مريضة فرويد « اليزابيث فون أر Elisabeth Von R » •

وقد استمر علاج فـــرويد لاليزابيث فون أر بـــين الاعـــوام ١٨٩٢ ـ ١٨٩٨ • وكانت من أصعب الحـــالات التى صادفها • اذ بدأ فرويد بالعلاج التقليدى وقتئذ ، وهو محاولة تنويم المريضـــة ثم الايحاء اليها • ثم بمحاولة بروير الناجحة مع أنا أوه ، تنويم

المريضة وتركها تسترسل فى الكلام • ولكن هاتين الطريقتين لم تفيدا مع اليزابيث فون أر لما وجده فرويد من صعوبة تكاد تبلغ الاستحالة فى تنويمها • وزيادة على ذلك ، كانت اليزابيث فون أر تصر على رواية رواياتها كاملة . ومن دون أن تسمح لفرويد بمقاطعتها •

وحينئذ بدأ فرويد الطور الثالث فى علاج الهستيريا عند الفرويديين ، وهى تركها ، تتكلم . وتتكلم،وتتكلم • فكانت هذه أول دراسة « تحليلية » للهستيريا •

يقول فرويد ان الهستيريا « تظهر وكأنها تلغى أساسيات علم التشريح ، أو كأنها لم تسمع بهـا » •

وكانت اليزابيث فون أر تعانى أساسا من آلام فى ساقيها وعجز عن المشى السوى • وقد قصت على فرويد سلسلة من الحوادث الاليمة التى جرت لافراد أسرتها • فقد توفى الاب • ثم تزوجت أختها مخالفة لرأى عائلتها وانفصلت عنهم بزوجها • ثم توفيت أخت أخرى خلال ولادتها • ووجدت العائلة أنها لم تعد تستطيع التفاهم مع زوجها • ثم مرضت الام • وهذه كلها حوادث مؤسفة ، كما قال فرويد ، ولكن أين الدوافع التى أدت الى الكبت ؟ • انه لايجدها ! • واليزابيث فون أر تقول أنها تعرفها . وتكرر عليه ماقالت • حتى بدأت تتحدث عن شاب مال اليه قلبها • ويجتهد فرويد فى التعرف على الشاب ، حتى تعترف أنه زوج أختها المتوفاة • نعم لقد مال قلب اليزابيث الى زوج أختها •

وقد لامت نفسها بشدة على هذا الميل •ثم ماتت الاخت• فصارحتها كامنتها : الان وقــد ماتت : افرحي ؛ فقد تمهــد لك الطريق ! •

لقد تحدث أرنست جونز عن نظام للدوافع الكامنة انتهى اليه فرويد بعد ذلك • قال ان فــرويد قد انتهى الى أن الكامنة ليست متجانسة • فقد تجمع بين أفكار مختلفة ، بعضها قد يضاد البعض الاخر • ولكن هذه الافكار المختلفة قد تتعايش مــع ذلك داخــل الكامنة الواحدة . لان تزاحم هذه الافكار فيها لايعرقل استمرارها، كما لايعرقل ظهور بعضها من دون البعض الاخــر • وقــال أن الكامنة قد تتجــاهل أيضا عامل الوقت ؛ فتخلط الافكار القــديمة بالجديدة • وأن هذه قد تطفو كعاطفة طاغية وتحل محل الحقيقة الخارجية •

وقد تحدث فرويد بعد ذلك عن حالة مريضة أخرى بالهستيريا هي حالة المريضة « دورا Dora » • وكانت دورا في الثامنة عشر من عمرها • وكانت ظواهر الهستيريا تظهر عندها على شكل كحات طويلة ، تفقد خلالها صوتها • كما كانت تشــعر بأعراض تشــبه أعراض التهاب الزائدة الدودية • وقد وجد فرويد أن دورا تحب والدها وتكره أمها • ولكنها تحولت عن والدها ، وهددت بالانتحار اذ اكتشفت علاقة بين والدتها وبين صديق الاسرة « كيه K » وأن والدها قد اتجه بتشجيع خفي من والدتها ، نحو زوجة كيــه • ووجد فرويد أن دورا نفسها كانت تميل الى كيه • ولهذا « تخيلت» دورا أن رغبتها في كيه قد أشبعت • وأنها قــد حملت منه • وأن

ماظهر لها من علامات الزائدة الدودية هى عوارض حملها منـــه •
ولكن الحقيقة أن دورا لم تضاجـــع كيه • وأنه الى جانب حبهـــا لكيه ، كان هناك ، كما وجد فرويد ، حبها القوى لوالدها • ورغبتها الشاذة ناحية والدتها ومربيتها • وبعد ذلك ميلها التدريجى نحو معالجهـــا •

* * *

ويلاحظ أن فرويد قد استفاد فيما أسماه بـــ « التحليل النفسى » بتفسير أحـــلام المريض ، مثلما استفاد بـــ « تداعى الافكار » • أى بترك المريض يتذاكر الحوادث العاطفية التى مرت به ، وأحدثت كظومه ، وفجرت أزماته • ولم يعترف فرويد بهفوات أو أخطـــاء أو نسيان يقع فيه مريضه ، مما أسماه بالالمانية Fehlleistungen ويطلقون عليه الان اسم « غلطة اللسان Freudisceh Versprech ung فلكل واحدة من هذه معنى يجب أن يدرس ويمحص • وقد أعطى فرويد مثالا برئيس البرلمان النمساوى الذى جلس لافتتاح احدى جلسات البرلمان ، وكان فى عجلة للحاق بموعد ، فأخطأ فى كلماته وقال : قفلت الجلسة • بدلا من أن يقول : فتحت الجلسة ! •

وضرب فرويد المثل بنفسه حين قال أن الانسان كثيرا مايحاول أن يتجنب موضوعا ، فينسى موضوعا آخـــر يشابهه • وأن هـــذا كثيرا مايحدث عنـــد الحديث فى مواضيـــع تمس المرأة أو الجنس أو الموت الخ •

* * *

كانت مريضة فـرويد تجلس على أريكة طويلة فى عيـادته ، يتدلى من فوقها ضـوء خافت • ويجلس فـرويد من وراء رأس المريضة بحيث لا يزعجها بالتحديق فى وجهها • وكان فرويد يتحدث الى مريضته بصوت خافتوهادىء • وقد يربت على جبهتها بيده •

وكان فرويد يشجع مريضته على التحدث فى كل ماتريد ، ومن دون أية مقاطعة أو أسئلة • وكان غرض فرويد من جلساته المتكررة هو مساعدة المريضة على تحديد الدوافع والكظوم • فاذا ماوقعت عليها ، فقد كشفت لفرويد ، ولنفسها ، عن المرض ، فيكون التحسن السـريع •

وقد ترك فرويد التنويم بعد ذلك الى التحليل ، لاسباب كثيرة منها أن نتائج العلاج بالاول ليست دائمة وكان يحـذر من « الخلط بين ذهب التحليل ونحاس التنويم » •

وكان فرويد يحذر من أى ايحاء سيكلوجى من المعالج للمريض ، كتشجيعه على اتخاذ طريق أو رواية يغرسها فيه معالجه • وكان يرى أن وظيفة المعالج تقتصر على « التفسـير » • ولم يكن يصر على أن يكون المعالج طبيبا ، بل كان يطلب أن يكون معالجـا محايدا •

كذلك حذر فرويد من أى تماد بين المعـالج والمريض • فمـع أنه كان يرى أن نجاح المعـالج يتوقف على ثقـة وتعاطف المريض مع المعالج ، فان لهذين عنده حـدودا صارمة يجب ألا يتجاوزاها شعوريا أو لاشعوريا • وكان يقول أن العلاقة بين المعالج والمريض خطيرة جدا « لانها تقـوم على اعترافات الثانى للاول • وجلهـا اعترافات جنسية » •

دور الجنـــس فى الاحـــلام

كان لفرويد ولع قديم بتفسير الاحلام . وقد وجد منذ افتتاحه اعيادته ، وبداية تبينه لكظوم مرضـــاه فيها ، أنه يحتـــاج الى أن يتعرف على احلامهم والى أن يستدل برموزها فى محاولة تفسيرها .

يقول فرويد :

« ان المفروض هو الا تظهر عنـــد النوم اية حركات نفسية . ولكن اذا ظهرت لنا بوادر منها ، فان السبب يرجـــع الى ان الشخص الحالم قد عاد الى مرحلته الجنينية الاولى . فالنائم لا يستطيع ان يتجنب مايظهرعليه من علامات نفسية تؤلف بعض حلمه . والاحـــلام هى الطريق الوحيد امـــامه للتخلص من عواطفه المكبوتة » .

فالحلم عند فرويد . .

« تحقيق مستور لرغبة غير واضحة ، او خفيـــة ، او مكبوتة مفهومة او غير مفهومـــة . وعلامة يبوح عن طريقها العقـــل ببعض اسراره الكامنة .. (ولكنه ايضا) علامة من علامات النيـــوروز (العصـــاب) . وكثـــيرامايواجهها المعالج كعلامة سيكوباثولوجية ، ولكنه ليس بكذلك » .

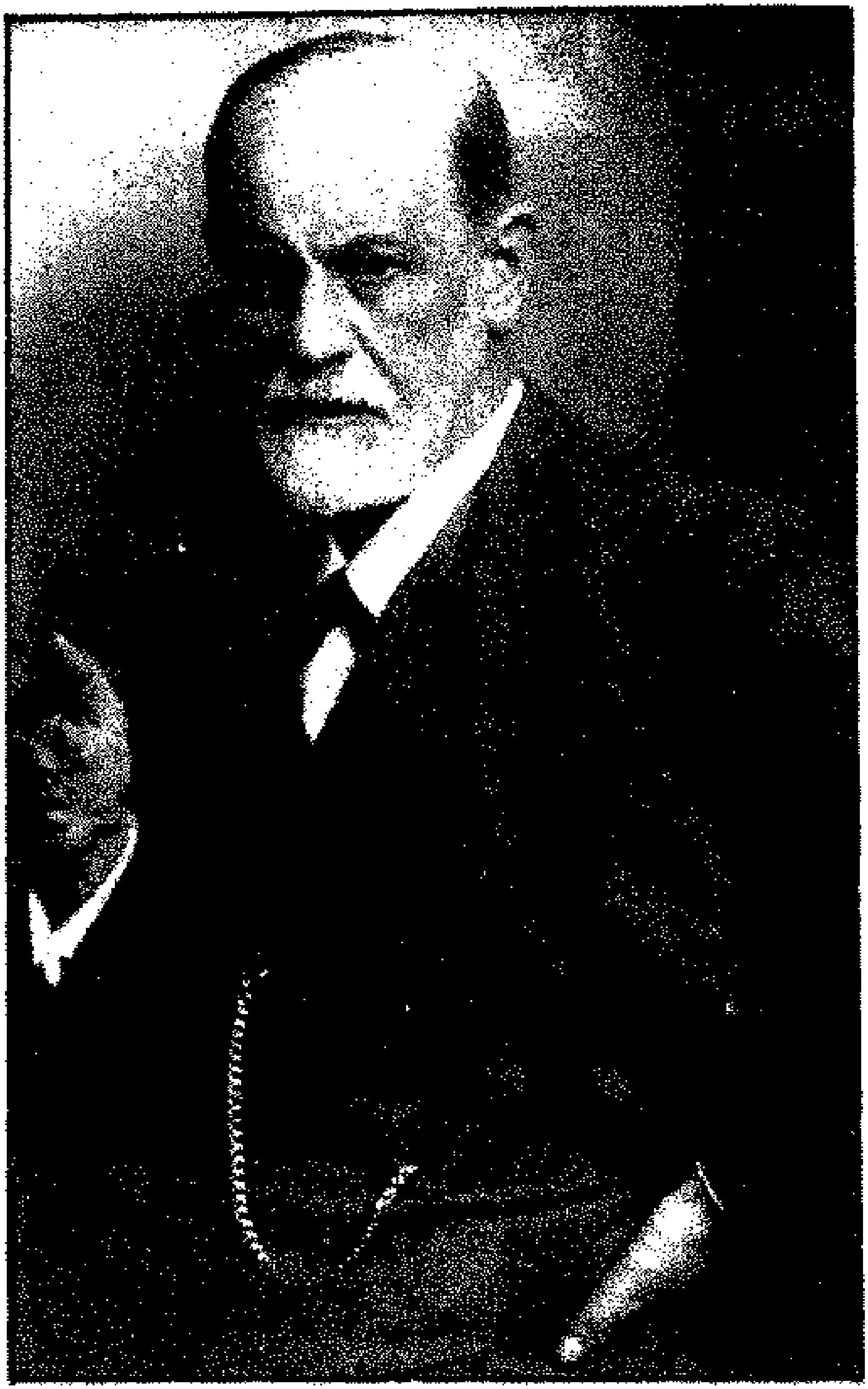
وقد وجد فرويد أن بامكانه أن يفسر أحـــلام المريض ، جزءا بعد جزء . مستعينا برموز تلك الاحلام ، للكشف عمـا فى كامنته . فالحلم عند فرويد . هو « الطريق الامثل (الملكى) لفهم الكامنة » وقد وجد فرويد أن كامنة كل شخص لاتضم تفاصيل متناثرة وغير وغير هامة من التجارب ؛ وانما « ردود فعل عقليـــة » تتراكم فيما أسماه باللاوعى . وردود هذه الافعال تتطور كل يوم بمــا تكسبه من تجارب جديدة . حتى اذا جاء الوقت المناسب ، ظهــر بعضها ليواجه الصدمات النفسية التى يتعرض لها الانسان .

ووجد فرويد ان الغريزة الجنسية هى المحرك الاساسى للسلوك الانسانى . ومع ذلك . فقد أعطى فرويد تلك الغـــريزة كثيرا من الجوانب التى تعارفنا على تسميتها بالجوانب « الاجتماعيـــة » . فمفهوم الجنس عند فرويــد لا يضيق حول العمليــة الجنســـية وحدها ، وانما يتسع كى يشمل جوانب متعددة من النشــاطات . والطاقة الليبيـــدية فيه تتصـــرف عند النمو الى اهتمامات كثـــيرة « غير جنسية » .

ومن ناحية أخرى ، أعطى فرويد سلوك الاطفال بواعث جنسية سافرة . وقـــاده البحث فى الجنس فى الطفولة الى مركب أوديب

ولم يكتف فرويد بارجاع الامراض النفسية الى اضطرابات جنسية ، وانما فسر السلوك الجنسى السوى بأنه تعبير عن سلامة هذه الغريزة

كذلك بدأ فرويد ، عقب وفاة والده ، فى تسجيل وتحليل احلامه الخاصة منذ طفولتـــه ، أى تحليل نفسه ذاتيـــا . فتأكدت له قوة





فرويد واقفا الى جانب والده



فرويد في السادسة عشرة



فرويد مع والدته في السادسة عشرة



فرويد (الثالث من اليسار بالصف الخلفي) مع أسرته وهو في العشرين



فرويد واقفاً الى جانب زوجته



فرويد وزوجته مارتا في عام ١٨٨٥







فرويد في نهاية القرن الماضي

المنوم والايحائي الفرنسي شاركوه الذى درس
عليه فرويد في باريس خلال محاضرة له





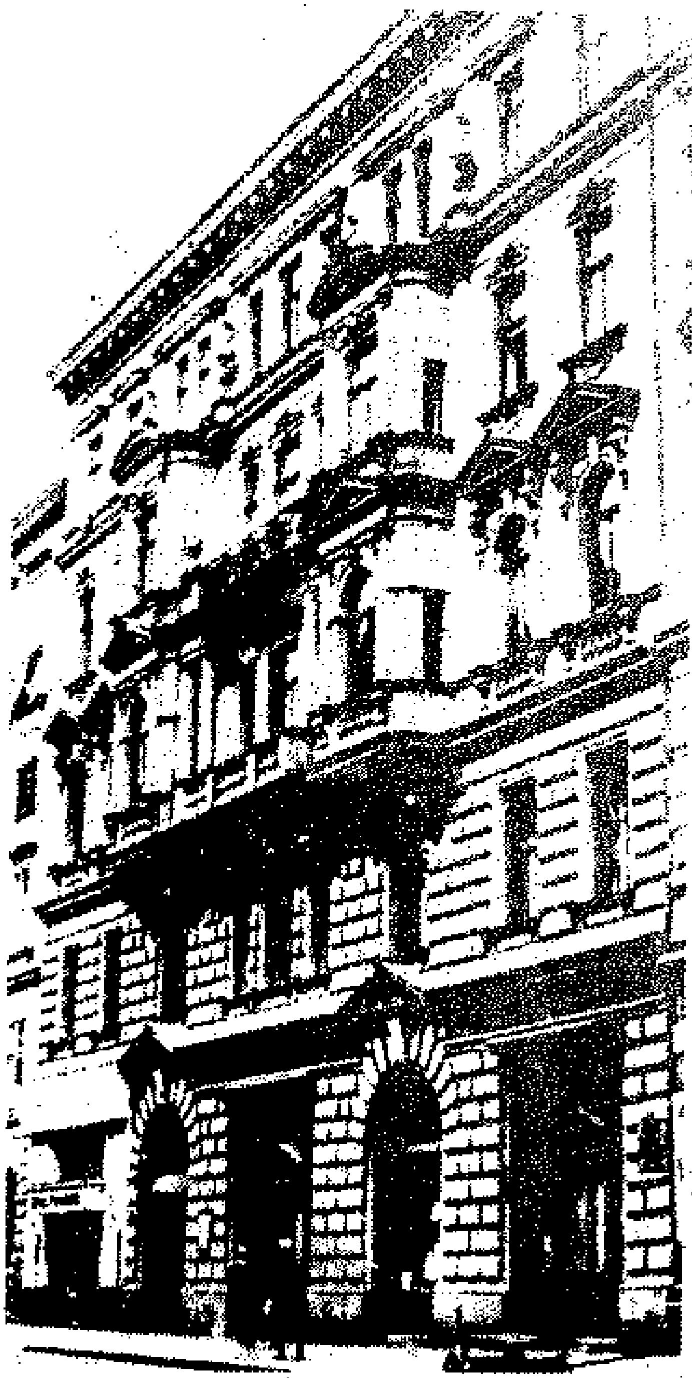
اللجنة الدولية لاتحاد المحللين النفسيين ببرلين عام ١٩٢٢ . ويرى بالصف الأول من اليسار لليمين : فرويد - فيرينزي - ساكس - وبالخلف رانك - ابراهام - ايتنجون - جونز .



فرويد مع صاحبه فليس



فرويد وزوجته مع ابنتهما آنا

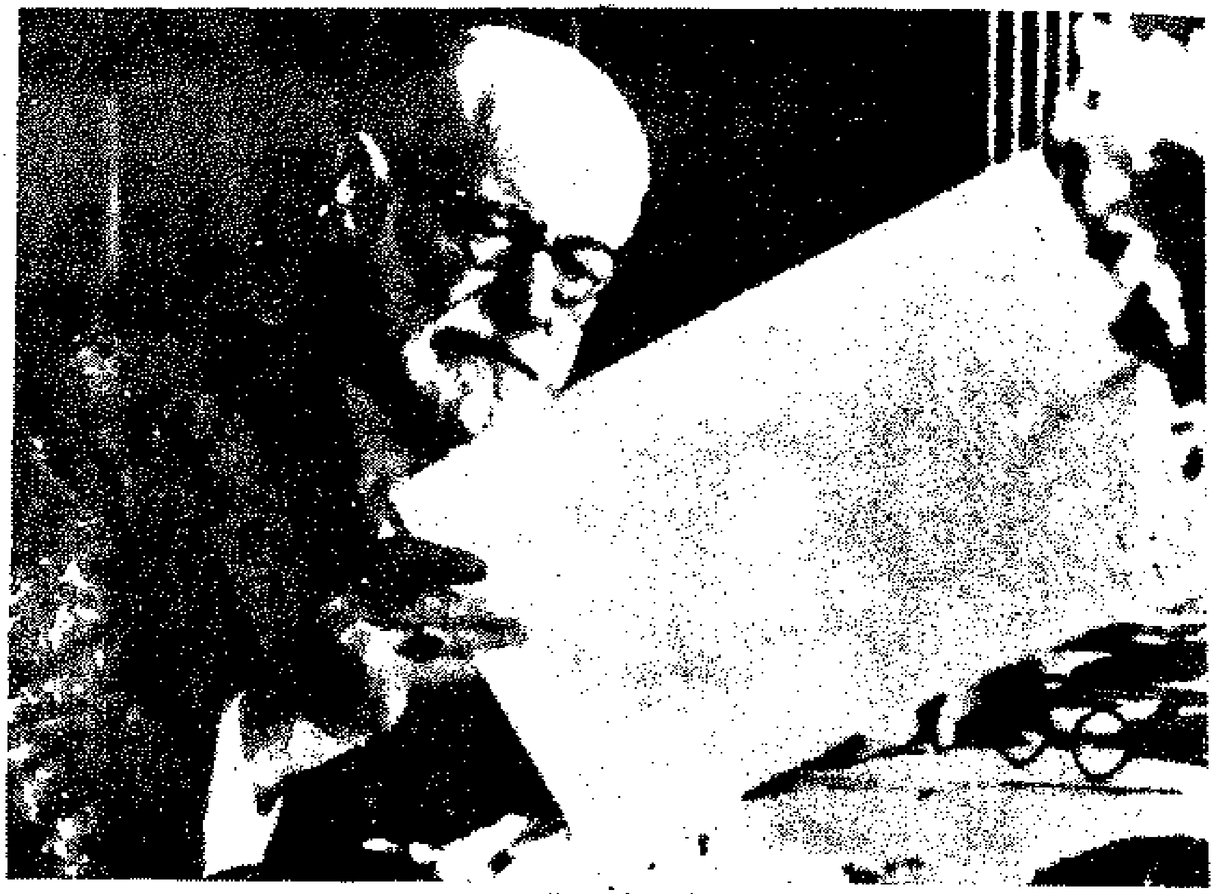


منزل فرويد وعيادته في فيينا وقد تحولا
الى متحف وطني منذ عام ١٩٧١





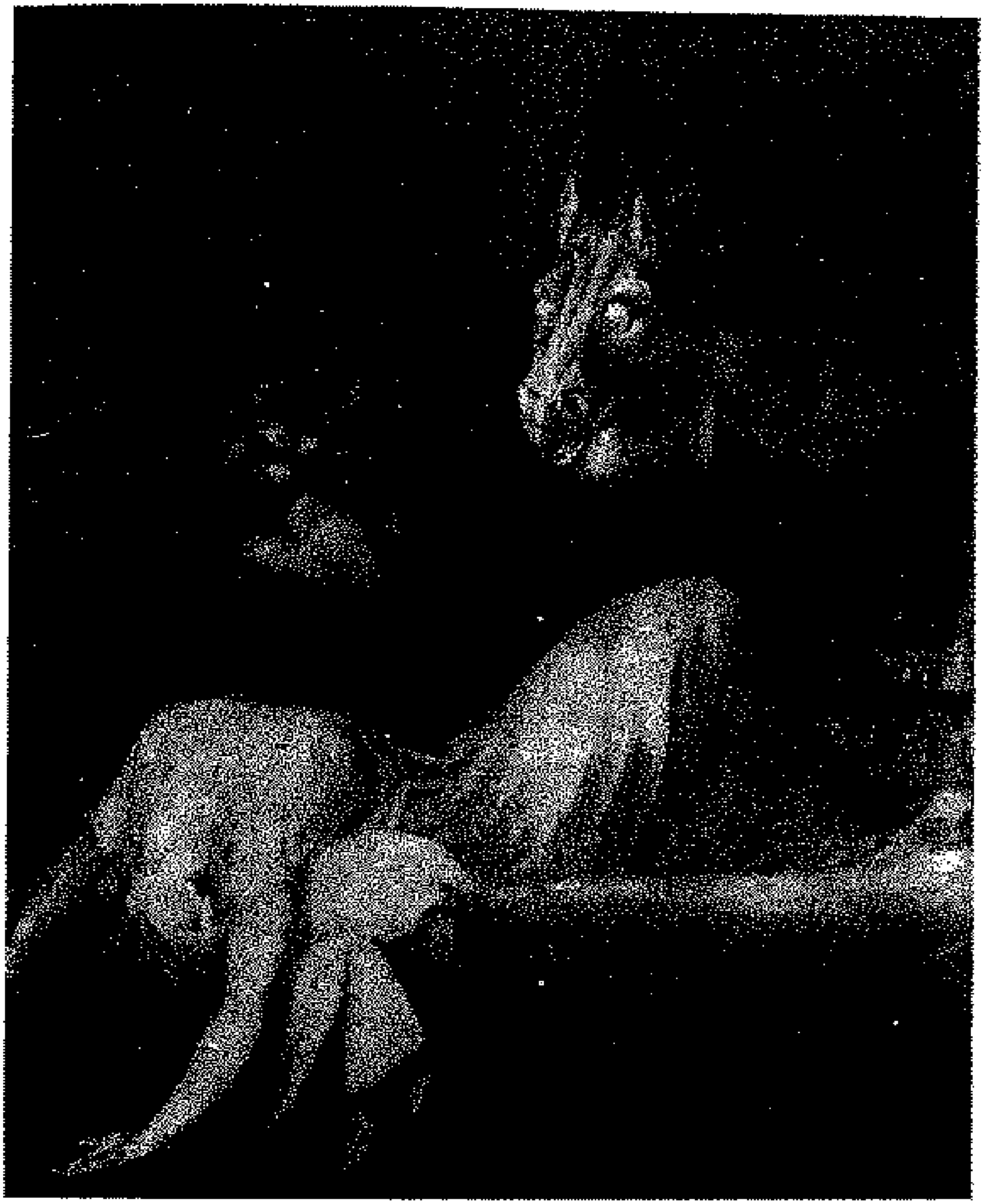
فرويد مع ابنتـــه أنـــا



فرويد في الثمانين



فرويد مع اثنين من أحفاده



١٠- الحلم - لوحة للفنان جويا

العلاقة بين الجنس والطفولة . وتأثير انحراف الجنس فى الطفل على ظهور علامات غير سوية فى البالغين .

ووجد فرويد أن رموز الاحلام كثيرا ماتظهر « رغبات جنسية فجة » . ولكنه حذر من أنه « لاينبغى الظن أن لجميع أحلامنا بواعث جنسية » .

فمثلا ، وجد فرويد أن « الملك » أو « الملكة » فى الحلم كثيرا ما يرمزان الى الاب أو الام فى الحقيقة .

وأن « السفر » أو « الخروج » قد يرمزان الى الموت .

وأن « الملابس » قد ترمز الى العرى .

وأن « العصا » أو « الشجرة » أو « المظلة » أو « المسمار » أو « السيجارة » أو « السكين » يرمز كل منها الى عضو التذكير فى الانسان .

وأن « القارب » أو « البوابة » أو « الزجاجة » أو « القوقعة » أو « العين » أو « التفاحة » أو « الصندوق » أو « الدولاب » أو « السفينة » يرمز كل منها الى عضو التأنيث فى الانسان .

وأن « الطيران » أو « الرقص » أو « الوقوع » أو «العزف على البيانو » ترمز الى العملية الجنسية .

وأن « سقوط الاسنان » أو « العمى » يرمزان الى الخصى أو العجز الجنسى .

* * *

يقوم مفهوم فرويد عن الجنس على نتائج الخبرات الجنسية الكامنـــة وراء أعراض مرضاه ، وتذكرهم لمواقف طفلية مبكرة يكشفون فيها عن تلك الخبرات • وكذلك على نتائج درس مظاهـــر الشذوذ الجنسي ، حيث تبدو العملية الجنسية عند الفرد الشـــاذ جنسيا بعيدة عن نشاطاته الجنسية الفعلية •

وقد كتب فرويد طوال حياته عن الجنس ، وأهميتـــه ، وتطوره منذ الطفولة • ولكن أهم ماكتبـــه فى هذا الموضوع هـــو من دون شك دراسته « ثلاث مقالات فى نظرية الجنس » الذى نشـــر لاول مرة فى ١٩١٠ • وقد توالت بعد ذلك ، وخلال الاعوام الاثنى عشر التالية ، ست طبعات من هذه الدراسة عدل فيها فرويد ، وزاد ، فى كل منها • وسنعتمد فى هذه الفقرة على هذا الكتاب •

درس فرويد موضوع الجنس من زاويتين أساسيتين • الاولى هى تاريخه منذ بداية البشرية • والثانية هى موضوعه ، متجـــاوزا الموضوع الى مايحيط به من حواشى • وذكر فـــرويد أن موضوع الجنس قديم فى « البشـــرية » كما هو قديم فى « الفـــرد » • فمن الطبيعى أن يكون تأثيره قويا • وأن تكون غريزته صعبـــة الكظم • واذا ما حاولنا أن نكظمها ، أن تكون آثار هذا الكظم وبيلة علينا •

كذلك ربط فرويد ، كما يقول فولهايم ، بين تصـــرفات كثيرة فى حياتنا وبين الدافع الجنسى • وقال أن هناك ، الى جانب الغريزة الجنسية « عوامل جنسية » لابد من أخذها فى الاعتبـــار • كمثل النظر للغير ، ونظر الغير لنا • وكمثل لمس الغير ، ولمس الغير لنا •

وكمثل أحداث الالم بالغير ، وتحمل ألم الغير •

وقال فرويد أن الجنس يولد فى الطفل قبل الولادة • وأنه يمر قبل البلوغ ، بـ « مراحل » مختلفة وواضحة • وأن « تثبيته » على أى من هذه المراحل يعوق تطور الجنسية السوية للانسان •

وقال ان الجنس لايخدم فى بدايته غرضا محددا • ولكن هذا الغرض يكتسبه الوليد من حاجاته الضرورية ، وأهمها فى هذا الوقت حاجته الى التغذية بلبن الام • فتنشأ عنده غريزة الرضاعة • أى امساك الطفل بثدى أمه ومصه مصا منتظما • وتسمى هذه المرحلة التى تستمر حوالى العام « مرحلة سيطرة الفم Oral Phase »

ويكون فيها نشاط الفم هو أهم نشاطات الطفل • وتكون الام هى الشخص الذى تمس اليه حاجة الطفل أكثر من غيره ، لا لمجرد الطعام وحده ، وانما للطمأنينة التى يجدها الطفل بين ذراعيها • ومن هنا نرى أهمية الرضاعة الطبيعية للمولود ، وضرر تغذيته بالإلبان الصناعية • ويقول السيكلوجيون أن كثيرين ممن يعانون فى حياتهم من سوء الهضم ،وأحيانا كثرة التقيوء ، كانوا فى طفولتهم سيىء الرضاعة •

وترسخ آثار هذه المرحلة فيما بعد فى صورة « القبلة » •

ويذكرنا فرويد ان اكتشاف المولود « لذة » الرضاعة من ثدى أمه تخلق عنده أولى مراحل الغريزة الجنسية • ويفسر تركيز هذه المرحلة حول فمه ، التذاذه مص اصبعه أو الحلمة الصناعية ؛ وكلاهما لا يغذيانه • ولكن غريزة الرضاعة فى الطفل غريزة

« مكتسبة » يرى فيها فرويد نموذجا لكل مايليها من طبقات •

وقد عدد فرويد بعد ذلك ثلاث مراحل أخرى للغريزة الجنسية، الاولى حول الشرج • والثانية حول الاعضاء الشبقية • والثالثة ، وقد أضافها بعد ذلك : هي المرحلة القضيبية •

وفى المرحلة « الشرجية Anal Phase » يقل اهتمام المولود ، بين السنة الاولى والثانية من عمره ، بنشاطه الفمى ، بعد فطامه ، واستهلاله السير • كما تبدأ الام فى توجيه اهتمام طفلها الى عادات التبول والتبرز وغيرها من مظاهر النظافة • فينتقل اهتمام الطفل ، نتيجة تلك الاهتمامات ، تدريجيا الى منطقة الشرج • وتنشأ عند الطفل لذة خاصة من ملاحظته لتأثير التبول والتبرز على من حوله ، ويتولد عن هذه اللذة ظهور علامات السرور والغضب الخ لنجاحه أو فشله فى التحكم فى اخراج بوله وبرازه •

وفى المرحلة « الشبقية Erotic Phase » تستمر نشاطات الطفل الجنسية فى المنح والمنع ، والسرور والغضب الخ • وقد ترسخ تلك النشاطات فيما بعد بمالها من قدرة على التوتر والارتخاء كما فى المستجنسين • أو تتطور عنها مشاعر العدوان والشعور باللذة من الالم كما بين المحبين •

وفى المرحلة « القضيبية Phalic Phasc » يبدأ الطفل من سن الثالثة الى حوالى السادسة ، فى الانتباه الى الاختلافات البيولوجية بين الجنسين • ويؤدى به اهتمامه الى الانتقال الى مرحلة جديدة ، يشعر خلالها الذكر بالشوف على عضوه الذكرى

من الخصاء نتيجة لخيالات جنسية طفلية تكون من أهم أسبابها المحارم الاجتماعية والخوف من الاب . واما الطفلة فتشعر خلال هذه المرحلة بالغيرة من فقدانها لقضيب مماثل لقضيب الذكر . وتصور لها خيالاتها أن هذا « النقص » يمس كمالها الجنسي وتغير من أمها التي « تمتلك » لنفسها رجلا خاصا بها .

يقول فرويد :

« ان البنات الصغار يلاحظن عضو التذكير في اخ او قريب لهن فيقارن بينه وبين اعضائهن ، و« يقعن » في حسده » .

ويقول دارسو فرويد

« ان هذه المقارنة ، وهذا الحسد « رمزي » وليس مادي وهو ينصب على مكانة الذكر الاجتماعية » .

وقد ذكر فرويد أن « اشباع » الغريزة الجنسية لا يتم ذاتيا . وانما عن طريق « مؤثر خارجي » . ولكن هذا ليس ضروريا في جميع الاحوال ، لان الاوهام قد تساعدنا على اشباع الغرائز ، كما في العادة السرية .

وذكر أن الاطفال ، أناثا وذكورا ، تتعلق جنسيا بأمهاتها . وينظر الطفل الى أمه على أنها « موضوع حبه « Love Object

واذا حرم الطفل من هذا الحب ، قد يتحول عن الطريق السوى الذي يؤدي بعد ذلك الى أشباع غريزته بطريقة سليمة . وفي هذه الحالة ، قد ينجح الطفل في التسامى بغريزته ، أو التأقلم معها ، أو الخضوع لها .

وفى المرحلة الجنسية الاخيرة ، تتعلق الصبية بوالدها ، ويستمر الصبى فى التعلق بوالدته ، فيما أسـماه فرويد بـ« مركب أوديب Oedipus Complex » • ولكن تأثير هذا المركب يضعف بعد ذلك طبيعيا ، نتيجة تغلب التيار العاطفى الذى نطلق عليه أحيانا اسم « الحب » عند خروج الطفل الى المدرسة واختلاطه بالمجتمع الى جانب ماهو واقع عليه من تأثير أسرته ، مما قد يعرضه لصراعات ويحتاج منه الى كظوم •

فاذا لم يتجه الطفل ناحيـة المجتمع ، والى خارج أسـرته ، فانه يقع ، خصوصـا فى الفتاة ، تحت تأثـير عوامل قد تؤدى به الى الانحراف •

الكشف عن مركب أوديب

تأكدت علاقة فرويد بفيلهلم فليس Fliess في نفس العام الذي توفي فيه والد فرويد ، وقطع فيه فرويد علاقته ببروير ، عام ١٨٩٦ . والغريب أن فرويد كان قد تعرف على العالم البرليني فليس (وهو يصغره بعامين) عن طريق بروير ، حين حضر الاخير الى فيينا في ١٨٨١ لحضور أحد المؤتمرات ، فقدمه اليه بروير ، وقد استمرت صداقتهما حتى عام ١٩٠٢ . وكانت من أقوى وأغنى الصداقات . فقد كان فليس (وكان طبيب أذن وأنف وحنجرة) على تعدد اهتماماته ، متمرسا في البيولوجيا والرياضيات كثير البحث ، شديد الذكاء ، واسع الخيال ، وأحيانا « الشطحات »

ومن « شطحات » فليس على فرويد ، مما ندم عليه الاخير بعد ذلك ، بحث العلاقة بين الامراض النفسية وشكل الوجه ، خصوصا الانف . على أن خطابات فليس لفرويد ، وخطابات فرويد اليه (وقد كشف عن الاخيرة في سنة ١٩٥٠ في برلين بعد أن

أنقذت من دمار الحرب) تؤكد الالفة والثقة الكبيرة التى كان يوليها كل منهما فى الاخر . وقد ازدهرت تلك العلاقة بين الاعوام ١٨٩٤، و١٨٩٦، ثم أخذت فى التراجع منذ عام ١٩٠١ . وانتهت تماما فى ١٩٠٢، . وتوفى فليبس صغيرا فى ١٩٢٨، .

لماذا كان يغضب فرويد بهذه الشدة على أكثر من عرف من أصدقاء وتلاميذ ؟ .

لقد قيل أنها بعض شخصيته المتشددة ، والبطريركية ، والتى لم تكن ترضى له بالتسامح . أو مجرد قبول المناقشة ، مع أحد من أصدقائه وتلاميذه . وقيل أنها يهوديته ، واحساسه بالعزلة فى فيينا . وانها « انعكاس من غضبه السابق نحو والده » . وأنها خروج العديد من تلاميذه عليه . وأنها السرطان الذى أصابه منذ عام ١٩٢٣ واستمر يؤلمه ويعذبه حتى آخر حياته .

* * *

كتب فرويد لفليبس بعد وفاة والده بأيام :

« ان وفاة والدى قد اثرت على تاثيرا قويا . فقد كنت اقدره تقديرا تاما ، وافهمه فهما كاملا . وقد لعب دورا كبيرا فى تشكيل حياتى ، بسبب تكوينه الذى يمزج بين الحكمة العميقة والفانتازيا الخفيفة . لقد عاش معى طويلا . ولكنه منذ توفى ، توالت على ذهنى صور الايام التى عرفته فيها . انى فى غاية الاسى » .

نعم . لقد هزت وفاة والد فرويد حياته من أساسها ، وطرحت أمامه أسئلة واستفهامات كثيرة . وجعلته يتساءل عن حقيقة مشاعره

نحو والده ، وأيضا صدق ماوصل اليه من نظريات . ومافرض من علاجات .وما يواجهه أحيانا من مشكلات عويصة .

ويقول أرنست جونز : ان السلوك غير السوى للآباء (أو الكبار) نحو الابناءهو الذى يؤدى الى كظم غريزتهم الجنسيـــة . وظهور سمات القلق النفسى عليهم ، ويؤدى هذا الى سلوك غير سوى عن الابناء نحو آبائهم (ونحو المجتمع) ، ويؤكد جونز أن شيئا من هذا قد حدث لفرويد وهو فى الخامسة من عمره .

ويقـــال أن فرويد قد نقــل نظريته التى نتكلم عنهـــا « نظرية الاغواء Seduction Theory » والتى أطلق عليها أحيـــانا اسم « الصدمة الجنســـية The Sexual Trauma » عن شـــاركوه . وجعلها أهم أسباب النيوروز ، ولكنه تخطاها بعد ذلك الى درس الجنس فى الطفولة ومركب أوديب ، قيل لابعاد الشبهة عن نفسه وعن والــــده ،أو ، كما كتب هو لفلييس ، لانه من غـــير المعقول أن تكون اساءات الكبار للاطفال بهذا الانتشار .

على أن من تلاميذ فرويد المحدثين من يظن أن نظريتـــه كانت صحيحة ، وأنه كان من الواجب عليه أن يتابعها والا يتركها .

* * *

وفى ١٨٩٥ أخذ فرويد باقتراح فلييس بأن يبدأ بتحليل ذاته ، محاولا أن يستعيد ، وأن يفسر أحلامه ، منذ كان طفلا ، وكتب فى ١٨٩٧ الى فلييس :

« ان نفسى ، انا ايضا ، قد اثقلت بالحب لوالدتى ، وبالغيرة من أبى . حتى اننى اعتبر هذه المشاعر الان ظاهرة عامة تشمل جميع الاطفال . فاذا كان هذا صحيحا ، فانه يؤكد لنا حقيقة مركب اوديب » .

وكتب أرنست جونز : أن تطوير فرويد لاسلوب التحليل النفسى هو أحدى معجزتين بارزتين فى حياته . وأما المعجزة الثانية فهى تطبيقه لهذا الاسلوب على طفولته ، ثم اكتشافه لمركب أوديب .

وقد وجد فرويد فى تحليله لذاته أنه كان يغار بشدة من أخيه الاصغر يوليوس . الذى كان يصغره بعام واحد ، ثم لم يعش اكثر من أعوام قليلة . ووجد أن وفاته قد أصابته بالاسى والندم

وظن فرويد أن سبب قلقه النفسى بعد ذلك هو غيرته من ابن أخيه : جون : الذى كان يكبره بعام واحد . وكان « صديقا حميما وعدوا رهيبا » له . وكانا معا يحيكان المؤمرات الصغيرة على ماسبق القول .

ووجد أن حبه لوالدته وغيرته عليها كانا طاغيان . وأن مشاعره نحو والده كانت تتراوح بين الحب والكراهية ، وبين الاعجاب والاسى . وأن هذه المشاعر قد سببب له أحلاما مزعجة كثيرة وهو طفل . وروى فرويد أنه وهو فى السادسة ، وكان ينام بين والديه على فراشهما ، قد تبول فى الفراش . فثار عليه والده ، وقال له : انك لن تكون يوما شيئا ناجحا . وكان فرويد يتذكر هذه الكلمات بعد ذلك أمام كل تحد يصادفه ، فتملأه بالعناد . ولا تبرح الكلمات ذاكرته اذا ما واجهته صعوبة . وعندما كبر والده ، وأقعده المرض ، وأصيب بالعمى ، وأخذ هو فى مساعدته فى تغيير ملابسه :

والتبول والتبرز على سريره ، كانت مشاعره نحو والده تتراوح بين الشماتة والاسف ! •

* * *

اكتشف فرويد أن « مركب أوديب » هو « صميم مشكلة الجنس فى الطفولة • وبعد ذلك فى حياة البالغين • وحجر الاساس فى التحليل النفسى • (اذ هو) البذرة الاصلية والمحرك الفعلى فى الاحلام »•

ويصف فرويد مأساة أوديب الاغريقية ، حيث قتل الابن والده وتزوج من أمه ، بأنها « تصوير مستتر لرغبة الطفل فى بلوغ الفحش الذى يصده المجتمع عن اقتـــرافه » • ويقول : « ان واجب كل انسان عصرى هو أن يتغلب فى نفسه على هذا المركب » •

وفى هذه المأساة الاغريقية يحـــذر المنجمون الملك مما سيفعله به ابنه • فيأمر الملك بأن يقتل وليده • ولكن الام تهربه من القصر الى بعض الرعاة ، فيربونه بينهم عارفين بحقيقته ، حتى يشب عوده ويقوى جسده ، ويلمع ذهنه • وحينئذ يتمكن الابن من العـــودة واغتصاب عرش أبيه ، والزواج من الملكة ، والدته • وينجب منها أبنائهما • ثم يجىء من يفتـــح عيونهم بالحقيقـــة ، ويثبتها لهم • فتقتل الام نفسها • ويفقأ الابن عينيــــه •

ولا ننسى هنا المعنى الجنسى الواضح ، عند فرويد ، للعينين • يقول فرويد : «أن الانسان السوى يشمئز من أى اتصال جنسى بين الابن ووالدته •• بينما هو فى الحقيقة يرجوه » ! • أنظر الى ماثبت من وجود شـــبه واضح بين الام والزوجـــة التى يختارها الابن •

ان الزوج كثيرا مايختار زوجته على غرار والدته .

« ومع ذلك .. فان هذه الحقيقة التاريخية (زواج الابن بأمه) التى يؤيدها ، بطريق غير مباشر فولكلور شعوب كثـيرة ، لم تجد يوما من يجرؤ على التصريح بها ، فى اى حضـارة من حضارات العـالم » .

يقول فرويد :

« ان في خيالات المراهق دوافع صبيانية ، تظهر بين كل حـين وآخر في احلامنا . ومن أهم هذه الدوافع ، الدوافع الجنسية التى تراود افكار الابناء ، كالنغمـة المترددة ، نحو والديهم . ويحدد اتجاه هذه الدوافع نوع المولود . فبعد المرحلة الاولى من اتجـاه المولود نحـو والدته ، يرغب الصبى فى والدته ، ويغـير عليها . وترغب الصبية في والدها ، وتغير عليـه . ولكن مع رفض ، وتراجع ، هذه الدوافـع الجنسية الاولى ، تتكون واحـدة من اهم المعجزات السيكلوجيـة ، وهى كظم الصبى والصبية لهذه المشاعر تحت تاثير المجتمـع ، وظهور الحب . فيكون تحـرر الابناء على سـلطة الاباء واستقلالهم فى المجتمع » .

يقول فرويد :

« ان القلق الذى يحدثه السلوك غير السوى فى الطفل ، يؤدى به الى خـوف جنسى ، وهو خشيتـه من أن يعاقبـه والده باستئصال قضيبه . ويؤدى بالصبية الى شـعورها بالنقص لحرمانها من هذا العضو الذى تراه فى الصبيان . وينتهى هذا الى غيرة الصبى من والده ، وغيرةالصبية من والدتها ، ورغبة كل منهما فى الاستحواذ على مكان الوالد او الوالدة » .

هذا الخوف الذى يتمثل فى خشية الطفل من اعتداء والده عليه ، نفه فرويد بعد ذلك صريحا فى حـالة المريض « هانز الصغـير

Little Hans « الذي ثبتت فى ذهنه تلك العقدة . واحتاج الى علاج طويل حتى شفى منها على يد فرويد •

واذا كان هذا هو شعور الرجل العادى نحو والده ووالدته . فما هو شعور الدون جوان أو الكازانوفا ؟ ! •

يقول فرويد : ان مثل هـذا الشخص قد تأثر بوالدته تأثيرا زائدا ، لم يستطع التخلص منه • وأن اهتماماته الظاهرة بنساء كثيرات تخفى صعوبات جنسية بالغة معهن • وأنه كثيرا مايكظم فى نفسه رغبة شديدة لاشخاص من جنسه •

* * *

لم يكن سهلا للعالم . وحتى لاصدقاء وتلاميذ فرويد . قبول كل آراء فرويد حول الجنس ، ودوره فى الطفولة . ومركب أوديب الخ لقد لقيت هذه الآراء معارضة قوية من الخاصة . وساخرة بين العامة • وحتى بين أصدقاء وتلاميذ فرويد ، نجد « يونج Jung » يرفض تمييز الغريزة الجنسية عن غيرها من الغرائز فلا يسلم لمركب أوديب الا بقيمة رمزية فقط • ونجد « أدلر Adler » يصر على أن العدوان هو أصل الغرائز كلها ، وأن لكل مشكلة سيكلوجية فى بدايتها مركب نقص عضوى •

وقد قطع فرويد علاقته بأدلر منذ ١٩١١ ، وبيونج منذ ١٩١٤ •

القلق النفسى يولد النيوروز (العصاب)

يظن أرنست جونز أن فـرويد كان قلقـا منذ طفولته • وأنه أصيب وهو فى الثلاثينات من عمره بأزمات قلبية متكررة . عزاهـا طبيبه الى انسـداد فى الشـرايين ، ووصفها جونز بأنهـا كانت « هستيرية » • وأرجـع فولهايم قلق فـرويد وهو فى طفولته الى خشيته من الموت ، وبالذات بسبب وفاة أخيه الصغير يوليوس • ثم وفاة ابنة فرويد « صوفى Sophie » فى طفولتها • وعنـدما توفى والد فرويد وهو فى الاربعينات ، ظنها فرويد « ضربة قاضية » لتعقد مشاعره وشعوره بالذنب ، الذى تحدثنا عنه ، نحو والده •

وكان فرويد قد لاحظ ، فى حوالى ١٨٩٥ ، العلاقة بين حـالات القلق النفسي والجنس • وقال أن أسباب القلق تعـود « لسنوات الطفولة ولطبيعـة الحيـاة الجنسية للطفل ، وتصـارع العوامل الشخصية والاجتماعية فى نفس الطفل ، واضطراره الى كظمها » •

ثم قال بعد ذلك أن انحباس الليبيدو يولد القلق • والقلق هو الذى يولد الكظم • وليس الكظم هو الذى يولـد القلق • وأما النيوروز (العصـاب) فيسببه ، عند فرويد ، الفشـل فى تحقيق

رغبات مكبوته • وهنا يمكن للانســـان أن يتســـامى بغريزته ، أو يتحول عنها . أو يخضع لها • ولكن هذا ليس سهلا ، لشدة العواطف التى تحكمة •

وكان فرويد قد قال أن سبب القلق قد يعود الى «اساءة جنسية» كثيرا ما يسببها أب . أو بالغ . للطفل • ولكنه فى ١٨٩٧ تخلى ، كما ذكرنا . عن هذه الفكرة جزئيا وقال : ان سبب القلق النفسى ليس بالضرورة اساءة جنسية من الاب للطفل » •

فاذا تمكن النيوروز (العصاب) ظهرت عــلى المريض مظاهـــر وسمات غير عادية : منها الارتياب ؛ والخوف . من أشـــياء محددة أو غير محددة . والاتيان بحركات غير عادية ، وظهور آلام حـــادة على بعض أجزاء جسمه •

ووظيفة المعالج ، عند فرويد ، هى التخلص من كل مايظهر من هذه الظواهر •

« لانهـــا هى كل مايتبقى من النيوروز • وحقيقى ان الاطبــاء يفرقون بين المرض وظواهره ، ويعلنون أن التخلص من الاخير لايعنى القضـــاء عـــلى المرض • ولكن مايتبقى من المـــرض النيوروزى بعـــد القضـــاء على ظواهره هو قـــدرته عـــلى احـــداث ظواهر جديدة • ولهذا فاننا نرى ان القضـــاء على هذه الظواهر هو نفسه قضاء على المرض » •

وقد عالج فرويد فى فيينا عدداً من المرضى بالنيوروز (العصاب) لعل أشهرهم هو الضابط فى الجيش النمساوى ، والذى يرمز اليـــه بأسم « الرجل الفأر Rat Man » • وكان هذا الضابط قد استشار

فرويد لاول مرة فى أواخر ١٩٠٧ ، واستمر علاجه حتى بداية عـام ١٩٠٩ • وقد نشر فرويد تفاصيل تلك الحالة أواخر ذلك العام •

شكا « الرجل الفار » لفرويد من خوفه الشديد عـلى بعض من يحب ، وهما أبيه واحدى السيدات • ومن تفكيره أحيانا فى التخلص من الحياه بقطع رقبته بموسى الحلاقة • فلما تحدث اليـه فرويد مرات ، ظهر له أن السبب الذى فجر مخاوف الضابط هو ماسمعه من زميل له فى الجيش النمسـاوى من أن الصينيـين كانوا اذا ما أسروا بعض الاسـرى ، يعذبونهم بتثبيت سلة بها فئران جائعـة حول مؤخرتهم • فلا تجد هذه الفئران أمامها سبيلا للخـروج أو للطعام الا قرض مؤخرات هؤلاء الاسرى ! •

وقد تأثر الضابط تأثيرا شديدا بما سمع • وأخذ يفكر فيما قد يحدث لاحبائه ، أى والـده وتلك السيدة ، اذا ماوقعوا أسـرى فى أيدى الصينيين ! •

وكان الضابط يروى قصته الغريبة ، على عادة مرضى النيوروز (العصاب) فى هدوء ، وعن اقتناع تام بها • وكان يثور لمناقشـة فرويد له فى تفصيلاتها • حتى أنه كاد يعتـدى عليه اعتداء بالغـا عقب احدى الجلسات • ولكن فـرويد وجد عنـدما استدرجه فى الحديث عن هذه السيدة ، أنها كانت حبيبة له ، ولكنهما افترقا منذ شهور ، وعندما استدرجه فى الحديث عن والده انه كان قـد توفى قبل تسع سنوات من تلك الرواية ! •

* * *

ان الخيال عند الفرويديين مهم كمثل اهمية الحقيقة ، حيث ان الاصل فى الخيال ، كما فى الحقيقــة ، هو « الدافــع » وآثاره على على النفس •

ولكن الفرويدية توحد بين الجنس وغرائز الحياة • وترى ان « الغريزة الجنسية Sex Instinct » هى مركز الطاقة النفسية وأصل النشاط العقلى • وأن الغريزة الجنسية تنشط طبيعيا عنــد احتداد عاطفتها : فتبعث الحركة فى الانسان •

وقد جعــل فرويد من الغــريزة « الجنسية » غريزة أســاسية ومحركة لكل نشاطات الجسم • ولكنه سلم ، خصوصا فيما بعد ، بوجود غرائز أخرى • كغــريزة الحب « ايروس Eros » التى تريد ، وتحــافظ ، على الاشــياء • وغــريزة المــوت « ثاناتوس Thanatos » التى تدمر الاشياء • ومــع انه رفض فى حوالى ١٩٠٩ قبول غريزة منفصلة لــ « العدوان Aggression » تناظــر غريزة « الجنس » • وكان هذا من أهم أسباب خلافه مــع أدلر ، الذى تمسك أيضا بمركب النقص ، فانه قد عاد فى ١٩٢٣ فكتب :

« اننى أسلم الان بوجود غريزة للعدوان حتى وان كانت تختلف عن الغريزة التى وصفها ادلر » •

وكان فرويد قدلاحظ بعض أوجه الشبه بين غريزتى « العدوان » و « الموت » ولكنه كان دائم التشبث بالاخيرة ، لان « الغــرض من كل أشكال الحياة هو الموت » • وكان قدلاحظ أن كل انسان متحضر **« يتجنب قدر المستطاع ان يتحدث عن موت الاخــرين • بل انه لايتصــور نفســه متمنيا موتهم ، دون ان يتهم نفســه في**

مشاعره ، ووصفها بالقسوة وسوء النية . اللهم الا اذا كان طبيبا أو محاميا او و شيئا من هـذا القبيل ، وكان عليـه ان يتعـامل مع فكرة المـوت من وجهـة النظـر المهنيـة . وفي غير هذه الاحوال ، لايسامح الانسان المتحضر نفسـه اذا تطرق تفكـيره الى تمني الموت للاخرين ، خاصـة اذا كان في موت الاخرين بعض النفع له ، كأن يحصل على حرية او يكسب بعض المال او يفوز بمركز من المراكز » .

الى أن يقـول :

« لقد تعودنا أن نؤكد ان الموت ياتي بالصدفة ، في حـادث ، أو بسبب مرض أو عـدوى ، او بفعل الشيخوخة . وبهـذه الوسيلة كشفنا عن محاولتنا التقليل من شأنه . فبدلا من ان ننظر اليه كضرورة ، اعتبرناه حادثا وعرضا . ولكن ربما كان شعورنا تجاه الشخص المتوفى هو شـعور المعجبين بشخص استطاع ان ينجز عملا شاقا وان ينتهي منه . فنحن نؤجـل نقـده . ونتجـاوز عن اخطائه .. ونهتف صائحـين : الله يرحمه .. ونجد في هذا التعبير مايبرر ان نسـتعيد محاسنه وان نتناسى مالا ينفـع ذكراه ولكن فكرة موت الالاف تبـدو لنا في نفس الوقت بشعة جدا ، الا مع الحـرب التى تكتسح نظرتنا التقليدية الى الموت . فالحرب تواجه الانسان بالموت وتجبره على الاعتراف والاقرار به . لان الناس في الحـرب لايموتون بالاحاد ، بل بالعشرات في وقت واحد ، بل بعشرات الالوف في اليوم الواحد . ولذا لايعد الموت في الحرب صدفه . فان حصيلة الاحتمالات هنا لاتدع قولا للصـدفة . وبانتفاء هذه الصدفة ، تستعيد الحياة اهميتها ومغزاهـا ، وتستقيم نظرة الانسان اليها » .

ويقول فرويد أن موقف الانسان البدائي من الموت « قــد تميز بالتناقض » . لانه لم يكن ينظر الى الموت نظرة واقعية يسلم فيها بنهاية الحياة . ويتعامل معه بهذه الصفة .

« ويرجع هذا التناقض أساسا الى التضــارب في مواقفة من موت الاخرين من الاغراب والاعداء ، ومن موته هو نفســه . فهو لم يكن يعتــرض على موت الاخــرين طالما انه يكرههم . فموتهم معناه ازالتهم من الوجــود ، وهو لا يمانع في هــذا . ولكن الانسان البدائي لم يكن يتصور أنه هو ايضا سيموت ، مثله في ذلك مثل أي انسان آخر . فاذا مات شخص عــزيز عليه ، كزوجــة أو طفلة أو صديقــة ، ممن يحبهم حبا جما ، فهنا يعرف انههو نفسه ليس بمنأى عن الموت . ومعذلكفربما احس احساسا غامضا ان موت هذا العزيز له مايبرره ، فقد كان فيه دائما جزء غريب ومعاد لم يكن قد استدمجه فينفسه . « ويدعي الفلاسفةأن صورة الموت قد حيرت الانسان البدائي ودفعته دفعا الى التفكير . وأن تفكيره كان نقطة البداية لكل تفكير فلسفي على الاطلاق . ولا اظن الفلاســفة علىصواب فيما يزعمون ، واحسب انهم قــد شطحوا في فلسفاتهم . وانا لذلك اشــطح مثلما فعلوا ، فاقول : لم يكن الانســان البدائي وهو يرمق جثــة عدوه مطروحة في العـــراء ، يرهق ذهنــه بالتفكير في لغز الموت والحيــاة . لكنه كان يزهو بما حققه عليه من انتصــار . وكان يرفض تقبل موت العــزيز ، وتتضارب ازائه مشــاعره . ولهذا تقبل الانســان البدائي الموت كحقيقة ، لكنه رفض أن يعترف بأن الموت نهاية الحياة . وتصور أن الارواح الشريرة تخرج من جسد الميت ، وتخيلهــا عفريتا مرعبا قد يعود اليها ، ويحتــاج الى ان يتخلص وان يتطهر منها قبل مخالطة غيره » .

فرويد يدرس الفنون ويحلل الشخصية الانسانية

أخذت مكانة فرويد فى الازدياد ، وشهرته فى الذيوع : فى داخل وخارج النمسا ، منـذ بداية القرن الحالى • وفى عام ١٩٠١ بـدأ فرويد فى الاجتماع بتلاميذه فى عيادته مساء الاربعاء من كل اسبوع وفى ١٩٠٧ زار يونج فرويد فى فيينا • وفى العام التالى زاره فيها فيرنيتزى Ferencz • وعقـد المؤتمر العـالمى الاول للتحليل النفسى فى مدينة الموسيقى والاحلام« سالزبورج » فى جنوب غربى النمسا • وقد حضره يونج وأدلر بريل Boill وأرنست جونز •

وفى ١٩٢٠ ، اتفق فرويد مع ثمانية من أهم تلاميذه الاوربيين على الاجتماع بهم فى شكل مؤتمر مرة فىكل عامين فى مدينة أوروبية مختلفة • وقد أهدى فرويد ستة من أقرب هؤلاء التلاميذ بعد ذلك نسخة من الخاتم الذى يحمله فى أصبع يده اليمنى ، والذى يمثـل رأس كبير آلهة الاغريق جوبيتر •

وكان فرويد قد بدأ منذ عام ١٩٠٧ فى تطبيق التحليـل النفسى على الاعمال الادبية والفنية • وقد وجد أن الحاجة تمس لايجـاد منبر علمى ينشر فيه مع تلاميذه أعمالهم وبحوثهم ، فأصـدر مجلة

منتظمة جعل من أغراضها الاساسية ، الى جانب دراسة السيكلوجيا دراسة الاخلاقيات • وقد نشر فرويد فى ١٩١٤ « الطوطم والتابو (المحرم) » ؛ وفى ١٩١٦ كتابه عن « ليوناردو دافينشى » • وكان قد بدأ منذ ١٩١٠ فى نشر دراسته عن طبقات الشخصية الانسانية ، وهى التى جمعها فى ١٩٢٣ فى كتابه « الايجــو (الانا) والايــد (الهو) » (*)

ويقول أرنست جونز أن مادفع فرويد الى تناول مشاكل الفنون والآداب والميثولوجيا ، كان هو بعض ماقرأه من آراء صديقه وتلميذه يونج حول هذه المواضيع • فقد وجد فرويد أن يونج يناقش هــذه المواضيع مناقشة تاريخية ، وأحيانا أسطورية ، وحتى غيبية ، بينما كان فرويد يريد تحليلها سيكلوجيا وتفسيرها تفسيرا نفسيا • وقد امتد الخلاف بين فرويد ويونج بعد ذلك الى مواضيع أخــرى ، من أهمها حقيقة مركب أوديب ومقام غريزة الجنس بالنسبة للغــرائز الاخرى ودراسة الشيزوفرينيا (الفصام) •

يقول فرويد أن الشخصية الانسانية تتألف من ثــلاث طبقات هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والســوبراجو (الانا الاعلى) ولكن هذه الطبقات افتراضية ،وليست مادية • وهذا التقسيم الافتراضى ، غير النهائى ، هو ما أطلق عليه فرويد بالالمانيــة اسم « سيكلوجية الاعماق Tiefenpsychologie » أى أعماق النفس البشرية أو العلم الذى يكشف عما فى أعماقها •

وتتألف « الايد (الهو) Id » من مجموع الغرائز والعواطف التى تولد مع الانســان ، والتى تحركها دوافــع الرغبــة واللذة

والعدوان ، كالجنس والطعام الخ . وهى تحتاج منه ، مهما كان التناقض بينها ، أو صعوبة تحقيقها بسبب العرف أو المجتمع ، الى تلبية فورية .

و « الايجو (الانا) Egoe » هو هذا الجزء الذى يتأثر بالواقع ويحس بالمجتمع ، ويقدر أن ماتطلبه غرائز الايد (الهو) ليس دائما مما يمكن تحقيقه . وان على الانسان العاقل أن يتصرف فى حدود ماهو ممكن فقط .

وتتكون « السويرايجو (الانا الاعلى) Superego كنتيجة لعلاقات الفرد مع أسرته أولا ثم المدرسة والمجتمع الخ . فهى مايطلق عليه أحيانا اسم « الاخلاق » أو « الضمير » . ونواهيها داخلية ، تتكون وتنبع من داخل الانسان ، بدلا من موانع (الايجو) الخارجية عنه .

والتباين بين هذه الطبقات الثلاث قد يكون كبيرا . والصراع بينها قد يحتدم ، ولكننا لانشعر بهذا الصراع فى صحونا . وانما قد نشعر به خلال نومنا ، حين قد تفضحه أحلامنا .

* * *

ذكرنا أن نشاط فرويد كان كبيرا ومتعددا . فقد كان يستقبل ثمانى الى عشر مرضى كل يوم ، ويكتب كتبه وبحوثه ومقالاته ، ويرد على خطاباته بنفسه وبخط يده . وقد ذكر أرنست جونز أنه كان يرد على عشر خطابات من خطابات أصدقائه وتلاميذه خلال ساعة واحدة .

ولكن فى ربيع ١٩٢٣ تأكد فرويد من اصابته بسرطان خبيث فى فكه الاسفل وأجرى أولى عمليات استئصاله . ولكن السرطان كان يعاود الظهور فى جهات مختلفة من الفك ، مما أرغم فرويد على اجراء علاجات كثيرة مؤلمة و ٣٣ عملية جراحية كبرى لاستئصاله . وكان أكثر هذه العلاجات وبعض العمليات يجرى دون تخدير . وقد سبب السرطان آلاما هائلة لفرويد . وتوفى فرويد فى النهاية بسببه . بعدظهوره واجراء أولى عمليات استئصاله ، بستة عشرعاما

وقد اضطر السرطان فرويد الى أن يقلل من نشاطاته . فأنقص زواره ومرضاه . وأوقف محاضراته العامة لصعوبة نطقه للكلمات . بل ورفض كل دعوة للطعام ، اذ أصبح لايستطيع المضغ فى سهولة ، وتأفف من ذلك أمام الاغراب .

وكان النازيون الالمان قد رفضوا الفرويدية منذ بداية ظهورهم فى المانيا ، وأخذوا يحرقون كتبها منذ عام ١٩٣٣ . فلما دخلت جيوشهم فيينا . فى ١٩٣٨ ، ضيقوا على فرويد حتى اضطروه الى اغلاق عيادته . ثم منع من استقبال أصدقائه، حتى اضطر للتوقف عن الكتابة . ومع ذلك ، فمما يدل على طبيعته ، أنه حين أحس بالفراغ أخذ فى ترجمة مؤلف صغير عن السرطان من الفرنسية الى الالمانية

ولكن الرأى العام العالمى كان يضغط على النازيين ، بحيث لم يكونوا يستطيعون المساس به رغم يهوديته وتباين أفكاره عن أرهم . ثم اضطروا بعد شهر واحد من دخولهم فيينا للسماح الهجرة الى انجلترا .

وقد أستقر فرويد فى لندن فى أواخر ١٩٣٨ • ولكنه لم يمارس العمل فيها كمعالج • بل اقتصر نشاطه فيها على الكتابة وحدها •

وتوفى فرويد فى لندن فى ٢٣ سبتمبر ١٩٣٩ عن ٨٣ عاما •

تواريخ فى حيـاة فـرويد

١٨٥٦	ولادة سيجموند فرويد فى فرايبرج بمقاطعة مورافيا .
١٨٦٠	الهجرة الى لايبتزيج ثم فيينـا .
١٨٦٥	بداية المرحلة الثانوية فى مدارس فيينـا .
١٨٧٣	فرويد يختار بعد تردد دراسة الطب .
١٨٧٦/٨٢	الالتحاق بمعمل أرنست بريكه .
١٨٧٨	بداية علاقة فرويد بصديقه بروير .
١٨٨٠	الانقطاع عن الدراسة لاداء الخدمة العسكرية .
١٨٨١	الانتهاء من دراسة الطب والعمل فى حقل البحوث العصبية
١٨٨٢	فـرويد يدرس مع بروير حـالة مريضته « أنا أوه » ويتعرف على زوجته المقبلة مارتا بيرنيز .
١٨٨٢/٨٥	العمل طبيبا عصبيا بالمستشفى العام بفيينا .
١٨٨٥/٨٦	فـرويد يحصل على منحة ويختـار أن يدرس التنويم والايحاء على شاركوه فى باريس ، وعنـد عودته يعمل فى مستشفى سالبترييرويبدأ عيادته .
١٨٨٦	الزواج من مارتا .

١٨٨٦ ,٩٣ العمل بمستشفى كاسوبتز بفيينا •
١٨٨٧ بداية علاقة فرويد بفليس •
١٨٨٩ السفر الى نانسي بفرنسا لدرس التنويم على يد بيرنهايم
١٨٩٢ فرويد يجرب تداعي الافكار مع مريضته اليزابيث فون أر
١٨٩٥ فرويد ينشر مع بروير كتابه الاول « دراسات فى الهستيريا » •
١٨٩٦ القطيعة مع بروير ؛ وبداية التعاون مع فليس ، واستخدام تعبير « التحليل النفسى » ، وفى أكتوبر وفاة والد فرويد (عن ثمانين عاما) •
١٨٩٧ فرويد يراجع أعماله ويحلل نفسه ، فيكتشف الجنس فى الطفولة ومركب أوديب •
١٨٩٨ الانتهاء من كتاب « تفسير الاحلام » الذى نشر بعد ذلك بعامين •
١٩٠١ تدهور العلاقة بين فرويد وفليس • -
١٩٠٢ تعيينه استاذا غير متفرغ بجامعة فيينا •
١٩٠٥ فرويد يبدأ رسائله مع استاذ بجامعة زيوريخ بلوليير ، ويتعرف عن طريقه الى يونج •
١٩٠٧ فرويد يبدأ تجربة نظرياته على الآداب والفنون •
١٩٠٨ فرويد يحضر المؤتمر العالمى الاول للتحليل النفسى فى سالزبورج •
١٩٠٩ السفر الى الولايات المتحدة والحصول على الدكتوراه الفخرية من جامعة كلارك •

١٩١١ القطيعة مع أدلر ، وفتور العلاقة مع يونج •

١٩١٤ فرويد يقطع علاقته بيونج •

١٩١٥/١٧ تجهيز محاضراته التمهيدية متضمنة افكاره الكاملة •

١٩٢٠ نظريات فرويد تتسع لغريزة جديده هى غريزة الموت •

١٩٢٣ فرويد يتأكد من اصـابة فكه بالسرطان ويجرى أولى عملياته لاستئصاله •

١٩٣٠ وفاة والدة فرويد عن خمسة وتسعين عاما •

١٩٣٣ النازيون يحرقون كتب فرويد فى برلين •

١٩٣٨ النازية تطارد فرويد من النمسا فيتركها الى انجلترا •

١٩٣٩ وفاة فرويد عن ٨٣ عاما

بعض سلبيات وايجابيات الفرويدية

تناولت الفرويدية « نفس » الانسان كعلم ، له قواعده التى تماثل علوم جسده • ووضعته موضع دراسة مقارنة يمكن تحديدها وفهمها • وجعلت للانسان خواصا نفسية موحدة يمكن القياس عليها وتحديد ما هو خارج عنها • وساهم فرويد بدراسات كثيرة نحو فهم الشخصية الانسانية ، وتقديم الاجابات التحليلية والعلاجية والفلسفية لمشكلاتها • كذلك قدمت الفرويدية آراء هامة فى نواحى الاخلاق ، والفنون والآداب ، وألقت بنظرات ثاقبة على تاريخ الانسان ، ونشأة وتطور عقائده وأساطيره •

ومع ذلك •• هناك من يقول أن الفرويدية قد قامت على أساس أكلينيكى ، غير تجريبى ، يستهدف مساعدة المريض ، وليس تفسير ماهية مرضه • فهى ليست «علما» • أو هى تفتقر ، على الاقل ، الى أساليب القياس الرياضية التى تتميز بها العلوم الاخرى • وأن التحليل السيكلوجى عند فرويد ، وفهمه للنفس الانسانية ، أقرب الى الفلسفة منه الى العلوم • وأن بعضهما قد يؤلف « خيالات » فنان • أو هى مدلولات أو تفسيرات « لفظية » لبعض مئات من مرضى النيوروز (العصاب) من الطبقة المتوسطة بفيينا • ففرويد

من هذه الوجهة ، أقرب الى أن يكون عالما لغويا قبل أن يكون فيلسوفا أو عالما نفسيا ! .

ويؤكد السلوكيون ، وعلماء الوراثة ، على أن فرويد تجاهل تجاهلا تاما العوامل البيئية والوراثية التى قد تؤثر ، من دون شك ، فى سلوك الانسان .

ومن بين علماء النفس من يعارض فرويد فى أصول وتفاصيل كثيرة . بل أن أحدا منهم لم يوافقه موافقة كاملة على ما أسماه بـ « غريزة الموت » .

ويتساءل بعض نقاد فرويد والتحليل النفسى : هل شفى التحليل الفرويدى مريضا واحدا ؟ ! .

ويقول غيرهم أن فرويد ، بحكم جذوره اليهودية ونشأته البطريركية ، قد قسا قسوة شديدة على المرأة . فقد أكد على نقصها البيولوجى والغريزى ، وعلى غيرتها الجنسية السافرة من الرجل . ورأى فى «زهوها بجسدها تعويضا عن نقصها الجنسى » وفى« تواضعها رغبة دفينة فى مداراة هذا النقص » ! .

وعلاوة على هذا جعل فرويد من الحب مقابلا كاملا للشهوة . واعتقد أن ظهور الشهوة ، يعنى اختفاء الحب . وأن تفريغ الانسان عن شهوته يعنى تخطيه للخط الفاصل بين الحب والشهوة ، وتخليه عن صفات الحب .

* * *

لم يعد العلاج النفسى المعاصر يبحث عن أصول الصدام النفسى . ولم يعد المريض يستلقى على أريكة الطبيب النفسى ، ويتردد على عيادته مرات فى كل اسبوع . وانما أخذ العلاج النفسى يهتم

بمشاكل الحياة العصرية . كالعمل والنجاح والمال • ويستعين فى سبيل الوصول لنتائجه بكشوف العلوم الاخرى . كالبيولوجيا والاجتماع •

وأصبح العلاج النفسى يرتضى دراسة سلوك الانسان . بدلا من درس أحلامه •

ويستخدم الادوية المؤثرة على شخصية الانسان . بدلا من تحليلها • ويستعين بالعلاج الجماعى . أو العلاج الدوائى . فى تحقيق أهداف قريبة ومحددة •

ويحاول أن يقنع المريض بطريقة جدلية بضرورة اتخاذ طريق معين ، أو الاقلاع عن عمل شىء ضار •

ولكن فرويد لايزال للآن الرائد الاول للتحليل النفسى . والسيكلوجى البارز الذى درس الجنس . وتحدث عن دوافعه ؛ مثلما استبر غور الشخصية الانسانية ؛ وترك عنها فهما واضحا ومتكاملا • بل هناك من يؤكد أنه ، من دون منازع . أعظم علماء القرن العشرين ••

وقد ظهر أثر فرويد البارز لا فى علم النفس وحده . وانما فى علوم كثيرة كالفسيولوجيا والفلسفة والانثروبولوجيا والسوسيولوجيا والبيداجوجيا الخ ، وعلى نشاطات متعددة فى الآداب والفنون •

وقد سبق القول الى أن دراسات فرويد الاولى قد أشارت الى آثار الهرمونات الجنسية التى أكتشفت فى الذكر والانثى بعد ذلك •

وفى الفلسفة ظهر تأثير فرويد واضحا على المدرستين الالمانيـة والانجليزية والامريكية • كما مثله الفيلسوف الالمانى ماركوس Marcos الذى أثر بشدة فى اليسار الاوربى • وبعد ذلك الامريكى • والسوسيولوجيين الامريكيين هورنى Horney وفروم Fromm اللذين عالجـا • مع تلاميذهما المختلفين • مشاكل المجتمع والثقافة الغربية • كذلك أثرت المدرسة الانجليزية « المناهضة للطب النفسى Antipsychiatric فى المجتمع الغربى ببحوث ومناقشات كبيرة النفع •

وقد ذكر الشـاعر الانجليزى أودين Auden أن فـرويد « لم يعدبالنسبة لهذا الجيل شخصا ، وانما أصبح مناخا كاملا له » •

وفى القصة بالذات • ظهر تأثـير فرويد واضحا عـلى مدرستى توماس مان Mann وجيمس جويس Joyce بالذات • بل أننـا لانجاوز الحقيقة اذا قلنا أنه ليس هناك أديب أوفنان معاصريستطيع الآن أن يتجاهل السيكلوجية الفرويدية فى انتاجه • واذا التفتنا الى زاوية واحدة • هى علاقة الطفل بوالديه ، فهل يستطيع أديب أو فنان أن يصنع عملا أدبيا أو فنيا من دون أن يحيط بالأسرار الكثيرة التى كشف عنها فرويد فى هذه الناحية ؟ •

لقد قام دومينيك فوناندبه بدراسة لموسيقى موتزار Mozart فوجد أن شخصية « والـد » موتزار تتسلط على موسيقاه • وأن بعض مقطوعاته تفضح الازمة بين هذا الموسيقى العظيم ووالده • وتعلو وتعلو كى تحتج عليه وتثور على استبداده به • وقد حاول موتزار أن يتزوج من حبيبة له ، ولكن والده منعه عن ذلك ، فاختار الموت على الحيـاة •

واذا نظرنا الى تأثير فــرويد على الفنون السريالية . وجــدنا أن السرياليين يعتبرون فــرويد هو « الاب الروحى » لمدارســهم . فهم لم يلتفتوا الى ما سبقهم من مذاهب . بــل مزجوا عــلى ضوء تعاليمه وبطرق غــاية فى الابتكار والتجديد . بين الحقيقة والحلم . والجد والهزل . والصراحة والغموض . وقد لجــأوا الى الرموز . والاساطير . واستعانوا بالجنس . وترجموا الغرائز . خصوصــا غريزة الموت . كى يخرجوا لنا بأشكال جديدة من هذا الفن .

كتابات فرويد حتى الحرب العالمية الاولى

ذكرنا أن كشوف فرويد وكتاباته لم تلاق الا التجاهل و التصغير والسخرية فى احيان ، فى داخل النمسا وخارجها طوال سنوات كثيرة وأن آرائه ، خصوصا فى الجنس ، وعن مركب أوديب ، قد نفرت منه كثيرا من الاصدقاء والتلاميذ ، حتى ان بروبير قد قطـع علاقته به بعد نشرهما لكتابهما « دراسات عن الهستيريا » • وعندما نشـر فرويد كتابه « تفسير الاحـلام » فى ١٩٠٠ اثار عليه ضجـة كبيرة بين علماء وأطباء فيينا • رغم أن الكتاب لم يوزع فى طبعته الالمانية الاولى سوى ستمائة نسخة •

ومع ذلك ، فان هذه النسخ القليلة كانت بداية معـرفة العالم الخارجى بفرويد وكتاباته •فقدسمع استاذجامعة زيوريخ بسويسرا الالمانية « بلولير Bleuler » بهذا الكتاب ، وقرأ لفرويد بعض كتاباته الاخرى ، فاشتد اعجابه به وأخذ فى مراسلته • ثم قـرر فى١٩٠٧ أن ينتقل اليه زائرا مع تلاميذ جامعته ، فى زيارة شهيرة الى عيادته فى فيينا كانت أشـبه بالحج • وقد قدم بلولـير فرويد الى استا:

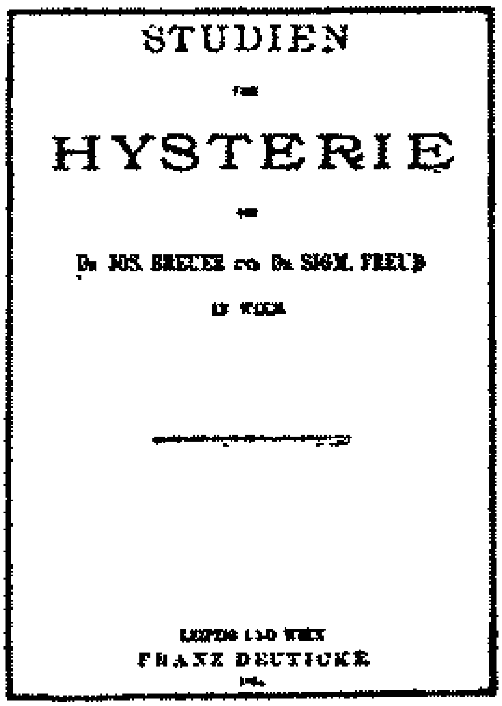
سويسرى آخر . هو يونج • وكانت معرفته ببلولير ويونج هي بداية أكتشاف العالم الخارجى لذلك العبقرى الفيينى •

وفى ١٩٠٨ . اجتمع فرويد مع بعض من تلاميذه فى شكل مؤتمر علمى فى سالزبورج • وألف فى العام التالى . ١٩٠٩ ، فى فيينا « جمعية التحليل النفسى » • وفى نفس العام . سافر فرويد الى الولايات المتحدة لالقاء بعض المحاضرات وللتعرف على اساتذة علم النفس بها • وقد أهدته جامعة كلارك الدكتوراة الفخرية •

وفى ١٩١٠ . تحولت جمعية فيينا الى « الاتحاد الدولى للتحليل النفسى » الذى شمل أعضائه أكثر انحاء العالم المتمدن • وبين عامى ١٩١٢ و ١٩١٣ شارك فرويد فى أعمال مؤتمرات فيمار وبودابست وميونيخ • وفى ١٩٢١ و ١٩٢٢ شارك فى أعمال مؤتمر لاهاى وبرلين •

وقد أدت الخلافات بين فرويد وبعض أصدقاءه وتلاميذه ، كبروبير (١٨٩٦) وفليس (١٩٠٢) وأدلر (١٩١١) ويونج (١٩١٤) الى محاولة فرويد القبض على أزمة حركة التحليل النفسى والاتحاد الدولى • فأشترط أن يكون الاتحاد مسئولا عن تخريج علماء النفس ، والاعتراف بهم ، وعقد اجتماعاتهم ، ونشر مطبوعاتهم وأن يكون تدريب العلماء الجدد على أيدى الاعضاء المؤسسين للاتحاد • واختيرت لجنة من بين هؤلاء الاعضاء لامتحان علماء النفس قبل التصريح لهم بمزاولة التحليل النفسى ! •

ويلاحظ أن فرويد قد أخذ يطبق نظرياته منذ عام ١٩٠٧ على الاعمال الثقافية والدينية • فنشر فى ذلك العام تحليله لكتاب


STUDIEN

HYSTERIE

Dr. JOS. BREUER und Dr. SIGM. FREUD

FRANZ DEUTICKE

صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب بروير
وفرويد « دراسات عن الهستيريا »
المنشور في عام ١٨٩٥

يانسن عن لاجراديفا • وأنه قد أخذ يكتب عن الاساطير (الميثولوجيا) والدين منذ ١٩١٨ • وأنه قد نشر آرائه المتشائمة فى التمدن الانسانى وفى مستقبل الانسان منذ ١٩٢٩ •

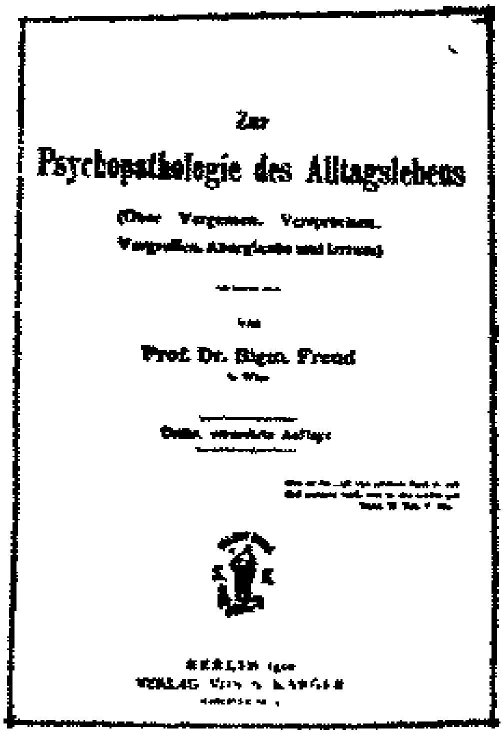
* * *

نشر فرويد فى ١٨٩٥ . بالاشتراك مع بروير : كتابهما « دراسات عن الهستيريا Studien uber Hysterie» وهو يضم . بالاضافة الى المقدمة التى كتبها المؤلفان . دراسات منفصلة لكل منهما عن حالات الهستيريا التى صادفتهما • وقد سبق التحدث عن بعض هذه الحالات . ومنها حالة « أنا أوه » لبروير وحالة « اليزابيث فون أر » لفرويد • وكذا عن اختلاف وجهة نظر المؤلفين . وهو الذى أدى الى أن يصف كل منهما حالاته مستقلا عن الآخر •

ويعتبر كتاب فرويد « تفسير الاحلام Die Traumdeutung » وهو الذى انتهى منه فى ١٨٩٨ . ونشره للمرة الاولى فى ١٩٠٠ . واحد من أعظم كتبه . ومن أفضل الكتب السيكلوجية على الاطلاق • وقد أعيد طبع هذا الكتاب مرات كثيرة فى حياة فرويد • وكان فرويد يعيد تنقيح الكتاب . ويضيف اليه . فى كل مرة ، حتى تركه عند وفاته فى ضعف حجمه الاول •

ويتناول الكتاب نظريات فرويد فى تفسير الاحلام ، ومعانى رموزها ، ومغزاها فى التحليل الفرويدى • كما يضم بعد أحلام فرويد ، التى تفضح شيئا من خبايا حياته وأسراره •

وفى ١٩٠١ نشر فرويد كتابه « سيكلوباثولوجية الحياة اليومية Psychopathoaogie des Altagslebens وتحدث فيه ، الى جانب عرضه


Zur

Psychopathologie des Alltagslebens

Von

Prof. Dr. Sigm. Freud

صورة غلاف الطبعة الاولى من كتاب
فرويد « سيكوباتولوجية الحياة اليومية »
المنشور فى عام ١٩٠١

لسيرته ، عن بعض نتائج تحليله الذاتى . كما تحـدث عن مغزى الهفوات . والاخطاء . وحوادث النسيان التى قد يقع فيها الانسان بلا قصد . فأرجع هذه الهفوات الى العواطف المكظومة . وضمن فرويد هذا الكتاب المقالة التى نشرها فى هذا الموضوع منذ ١٨٩٨ « الميكانيزم المحرك للنسيان » .

وقد نظر فرويد فى هـذا الكتاب للحب نظرة مادية صرفة . فأرجعها الى «غريزة حيوانية» فى الانسان ، تستقر فيه منذ قديم . وقال أن أى تغيير فى طابع الحب « الشهوانى » لايمكن الوصول اليه من دون المساس بالفوائد الحسية الضرورية لوجود الانسان .

وفى ١٩٠٥ استغل فرويد الاسطورة الاغريقية عن حب الرب ايروس للاميرة سيكو فى تقديم كتابه « ثـلاث مقالات فى نظـرية الجنس Drei Abhandlungen Zur Sexualtheorie » . وكانت ربة الجمال عند الاغريق . أفروديت . قد سمعت بجمال سيكو Psycho (وتعنى الكلمة الروح فى الاغريقية) وغارت منها . فأمرت أفروديت ابنها ايروس . رب الحب . بأن يعذبها . ولكن ايروس يقع فى غرام سيكو ، وينقلها الى قصر باذخ ، ويقنعها بأنه زوجهـا . ولا يزور ايروس سيكو الا فى الظلام . ويطلب منها ألا ترى وجهـه . لكن أخوات سيكو ينجحن فى تحريضها على رؤية وجه حبيبها . فتقوم سيكو من مرقدها فى الظلام وتوقد قنديلا صغيرا ، وترى على ضوئه وجه ايروس . وتتعرف عليه . ولكن نقطة زيت ساخنة من القنديل تقع على كتف ايروس العـارى فى نومه ، فيستيقظ . ويعـرف . ويغضب . وفى نفس اللحظة يختفى القصر الذى عاشت فيه سيكو .

ثم تأخذ افروديت بنفسها فى تعـذيب سيكو . وتدبير المكائد لهـا . ولكن ايروس لايزال يحبها . فيسـاعدها مرات . ثم يذهب الى الرب تريوس ويطلب اليه مساعدته فى التوفيق بينه وبين حبيبته . فيجعل تريوس من سيكو ربة خالدة . وتلحق بحبيبها ايروس فوق جبـل الآلهـة : أولمب .

ويضم كتاب فرويد « ثلاث مقـالات فى نظرية الجنس » أهم آرائه عن « غريزة الجنس » و « العوامل الجنسية » . ويتنـاول تطور « المراحـل الجنسية » فى الطفولة . وأثره الجنسى عـلى البالغين . وفى تكوين الانسان السوى والشـاذ . ودور الجنس . ومغزاه فى الاحلام . كما يتحدث فرويد عن مركب أوديب . ومعناه وآثاره . وقد تناولنا هذا الموضوع فى بعض الفصول السابقة .

وقد ختم فرويد هذه المرحلة الاولى من حيـاته وكتاباته . حتى الحرب العالمية الاولى . بنشـره فى ١٩١٠ لكتاب « حول التحليـل النفسى Uber Psychoanalyse » . ثم بتجهيزه خلال تلك الحرب . أو بين الاعوام ١٩١٥ و ١٩١٧ . لمحاضراته التمهيـدية التى جمـع فيها ونقح أكثر افكاره وتعاليمه حتى نهاية هذه المرحلة .

المرحلة المتأخرة لكتابات فرويد

بدأ فرويد فى القاء نظراته النفاذة على الفنون والآداب والاساطير منذ ١٩٠٧ . ولكنه تحول تحولا كبيرا لدراستها منذ الحرب العالمية الاولى • فنشر فى ١٩١٣ / ١٩١٤ « الطوطم والتابو Totem und Taboo » ويترجم التابو أحيانا بالمحرم • و « الطوطم » كلمة من كلمات الهنود الحمر الامريكيين . ولكنها انتشرت فى أواخر القرن الماضى بين علماء مختلفين • والطوطم شيء طبيعى . ومادى . وقد يكون حيوانا . يرمز لشخص أو لقبيلة بدائيين • وقد وجد فرويد أن القبائل البدائية تستخدم «الطوطم» الذى يتمثل فى زواج الاقارب . لمنع الفحش • لان الاقارب كالابن وأمه . أو الاخوة والاخوات . يحملون طوطما واحدا • ولذلك لايجوز زواج أحدهم من الآخر • ونلاحظ هنا أن فكرة الطوطم قد تطورت لدفع أذى بيولوجى . يحدثه فعلا زواج الاقارب • ولكن الطوطم قد يعنى أيضا منع قتل الحيوانات أو الطائر الذى يحمل طوطم الشخص أو القبيلة ؛ لما يحمله معنى القتل للطوطم من أذى للشخص أو القبيلة التى يرمز لها •

و « التابو » يعنى امتناع هؤلاء البدائيين (ويظن أنه قد نشأ بين

سكان جزر جنوب المحيط الهادى) عن ارتياد أماكن . أو التحدث بأسماء أشخاص أو حيوانات الخ . لاسباب عقائدية • ولكن التابو يمتد أيضا الى كل مايتصل بتابو . فيصبح هو الآخر محرما • وفى ظن فرويد أن التابو قد نشأ عند الانسان البدائى هو الآخر لضرورة تجنب الفحش • وفى تابو الموت عند القبائل البدائية . وجد فرويد أن المغزى هو تجنب أخطار الموت وضرورة استمرار الحياة • وعند تلك القبائل أن الموت لايجىء الا عن عدوان « انسان آخر » • وأن المرض هو « انتقام روح خفية » • ولكن روح الميت وحدها هى التى تشعر بذلك العالم الخفى • لان الموت يعنى خروج الروح من الجسد وتحليقها فى عالم آخر •

وقد وجد فرويد أن قتل « الاب » كان منتشرا بين القبائل البدائية • وأن السبب فى القتل كان تخليد وعبادة الاب المقتول • وقد أدى هذا الى « الشعور بالذنب » لهذه الخطيئة الكبرى • ثم الى الاتجاه الى استخدام طوطم على شكل حيوان ، والاستغناء عن قتل الاب • ويلاحظ هنا أيضا أن فكرة قتل الاب ، أو زعيم القبيلة . قد جاءت لضمان تجديد شبابها وخروج أجيال قوية تالية عندما يطعن الاب أو الزعيم فى السن •

ويسمى فرويد هذه المرحلة ، مرحلة تكالب الابناء على الاب ، وتغلبهم عليه . بالمرحلة « الطوطمية » • ويقول أن هذه المرحلة كانت بداية نشأة القيود ، التى فرضتها الجماعة على افرادها لايجاد النظام الذى أدى بعد ذلك الى القانون •

ووجد فرويد أن المجتمعات البدائية قد ظلت جامدة لم تتطور

« لان الجماهير لاتقبل عادة التغيير . وتستسهل السير على الماضى » وأن هذه المجتمعات البدائية تستبد بها على الدوام . سواء فى تفكيرها أو فى قوانينها . فكرة الفحش •

كذلك وجد فرويد فى النار « مغزى جنسى » عند البدائيين • وقال : ان الرغبة تستبد بالرجل البدائى لمحاولة اطفائها بالتبول عليها • لان فى التبول « اطفاء جنسى لغريزته » وتمثيل لقوته الجنسية أمام أفراد قبيلته • ولهذا نجد أن « المرأة الكاهنة » هى التى اختيرت دائما ، ومن دون الرجل . لحراسة النار المقدسة •

وفى ١٩١٦ ، نشر فرويد كتابه « ليوناردو دافنشى Leonardo da Vinci دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته » • وفى هذا الكتاب ، الذى كتبه فرويد منذ ١٩١٠ وطبق فيه نظريات التحليل النفسى على مادرسه عن حياة وأعمال ليوناردو ، أرجع فرويد الابتسامات الشهيرة على تماثيل الفنان كـ « الموناليزا » و « سانت آن » وعجزه عن اتمام أعماله . وتحطيمه لتمثال « فينوس ديه ميلو » بعد اتمامه له ، الى « صدمة جنسية » الحقت به وهو صغير •

وكان فرويد قد أبدى اعجابه وشغفه بليوناردو . وكتب لفلييس منذ ١٨٩٨ : « وربما لم يتمتع ليوناردو . أشهر أعسر فى تاريخ البشرية . طوال حياته : بعلاقة غرامية » •

والمعروف أن ليوناردو كان ابنا غير شرعى لام فلاحة ، هى كاترين ، وأب شاب كان يطلب العلم فى فلورنسا • فلما ترك الاب المدينة . احتضنت الام ابنها بشدة فى غيبة أبيه . حتى أصبح الاب

محاميا ، وتزوج من سيدة أخرى هى دونا البيرا • ولكن الزوجة الجديدة لم تنجب أطفالا ، مما دعا الاب الى نزع الابن وهو فى حوالى الرابعة من عمره من والدته وتسليمه لزوجته •

ومع أن الام الجديدة كانت كريمة مع ليوناردو ، فان حب ليوناردو لامه كان قد اتخذ طابعا « نسبقيا » أدى الى تقمصه لشخصية أمه ، واختياره للموضوعات المرادفة لها • وكذلك لكبت شديد للجنس ثم انصراف به ، احتقار له • ثم تسام بغريزته الى الاستطلاع وحب المعرفة • وأما الحرمان الابوى ، فقد أدى الى اهماله لصورة (ابنائه ؟) ونبذ السلطة « الابوية » واتخاذ موقف المعارضة الدائمة •

ويقول فرويد أن آثار هذه الحياه قدظهرت واضحةفىحب ليوناردو للحياة الرغدة ، والجميلة ، وابتعاده عن النساء ، واعجابه بجمال الاطفال • ثم التردد والتأخير فى اتخاذ القرارات • وتناقض النظرة فى صورة وظهور امرأتين معا مع طفل واحد فى صورة « العذراء وحنة » •

يقول فرويد عن كاترين والدة ليوناردو :

« لقد فقدت الام زوجا ، فعوضت هذا بالطفل الذى انجبته منه ، وحنت عليه باكثر مما تحنو الام عادة على ابنها • حتى حرمته من قوته الجنسية فى سن متقدمة » •

الى أن يقول :

« وهكذا فقد الابن خيالاته الطبيعية وركزها فى والدته • وظهرت آثار هذا على وجوه تماثيله ذات الجنس المزدوج » •

وفى ١٩٢٠ نشر فرويد كتابه « ما وراء مبدأ اللذة

« Tenseits des Lust Princips » الذى أكد فيه أن البحث عن السعادة وتجنب الالم هى التى تحكم وتوجه تصرفات الانسان • والى أن الفرد يحتاج دوما الى أن يشبع الدوافع الليبيدية لغرائزه . والى أن يخفض توتراته وقلقه ، بالاستجابة لها أو التسامى بها • ولكن الانسان لايستطيع ، مع ذلك ، أن « يحتمل اللذة المتصلة » أو « السعادة المفرطة » • Massenpsychologie und Ich - Analyse

وقد نشر فرويد بعد ذلك بعامين . أى فى ١٩٢٢ . كتابه الصغير والهام « سيكلوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا) Massenpsychologie und Ich - Analyse » الذى حاول فيه أن يدرس الروابط التى تربط بين افراد الجماعة وبين رئيسها • وانتهى فرويد الى أن « الدوافع الليبيدية » هى أساس تلك الروابط • وأنها تربط بين أفراد الجماعة . وبينهم وبين رئيسهم • وأن أفراد الجماعة يشتركون فى « وهم » يتلخص فى أن رئيسهم « يحب أفراد جماعته حبا متساويا » • وأن هذا الحب هو الذى تقوم عليه روحهم المعنوية • وأنه اذا ظهر لهم أن رئيسهم يفضل بعضهم على البعض الآخر ، انهارت تلك الروح •

وفى ١٩٢٣ ، نشر فرويد كتابه عن الشخصية الانسانية « الايجو والايد Ego und Id » • فجعل منها ثلاث طبقات • هى الايجو (الانا) والايد (الهو) والسوبر ايجو (الانا الاعلى) • وطبقة الايد (الهو) هى ، على ماذكرنا ، الطبقة الغريزية الاولى . والتى تحتاج منا الى تلبية فورية • وطبقة الايجو (الانا) هى الطبقة الثانية . التى تزن رغبات الطبقة الاولى مسترشدة بشرائع المجتمع

وتسمح بما يمكن تحقيقه منها • وأما الطبقة الثالثـة فهى السوبر ايجو (الانا الاعلى) ، التى تنبع من داخل الانسان ، وتزن رغائبه بميزان الاخلاق والضمير الخ • وقد وجد فرويد أن الصراع بـين الطبقات الثلاث قد يحتدم ، وقد يؤدى الى القلق ؛ ولكننا لانشعر به فى صحونا ، وانما تفضحه أحلامنا •

وفى ١٩٣٠ نشر فرويد كتابه « أمراض التمدن Zivilisation und seine Unzufriedenheit » الـذى بحث فيـه أمور الحب والسـعادة الانسانيين ، وقيود المدنية ، وأمراضها • وقد كشف فرويد فى هذا الكتاب عن نفس متشائمة غاية التشائم ، حاول النقاد ارجاعها الى حالته الصحية المتدهورة أو الى الحـالة السياسية غـير المستقرة وقتذاك فى أوروبا •

وقد فرق فرويد فى كتابه بـين الحضارة والثقـافة • وقال ان الاولى نتيجة للثانية • وعدد سمات الدولة المتحضرة : فقال أن كل شيء فيها « يستغل ويستثمر لصالح الانسان ، ويساعد على حمايته من الطبيعة » • وأن الانسان فيها يحاط برعاية كاملة • ومهاراته توجه لهذا السبب الى مايبدو أنه أشياء غير نافعة ، كزراعة الحدائق والمتنزهات ، وبناء الملاعب الخ •

وقال ان الدولة المتحضرة هى تلك التى تولى الانشـطة الفكرية اهتماماتها • « ولكن أهم مايميز الدولة المتحضرة هو قيامهـا على شيء من الزهد والارتفاع عن اشباع الغرائز » •

وقال فرويد أن الـدولة المتحضرة تتميز أيضـا بالنظام « لان للنظام فوائد • وهو يمكننا من استخدام المكان والزمان على الوجه



أحب فـرويد موسى واعتبره
مصـريا لا عبريا

الاكمل ، ويغنينا عن بذل الطاقة الذهنية من دون طائل » .

يقول فـــرويد :

« حقيقي ان التمدن يتقبل الحب ، بل ويرفعه ارفـــع مكانة . ولكن مكان الحب في حياتنـــا المعاصرة يصفـــر شيئا فشيئا . (وهذا لان) اغراض الحب تتعارض ، في الحقيقة ، مع اغراض التمدن . كما أن هذا يحاول عـــلى الدوام فرض قيوده عـــلى مابقي لنا من حب في حياتنا » .

ويقول فـــرويد :

« ان الانسان يبحثبغريزته عن السعادة .ولكن طبيعة تكوينه لاتسمح له بأن يرى منهـــا ، وبصعوبة ، وعن طريق مخـــالف لطبائع الحياة ، الا قليلا . وعلى النقيض من ذلك ، نرى الالام تلاحق الانسان في سهولة » .

الى أن يقول مفسرا مصدر هذه الالام :

« ان هناك ثلاث مصادر لهذه الالام . الاول هو جسم الانسان والثاني هو العالم الخارجي . والثالث هو علاقته بالاخـــرين ولهذا فانجهود الانسانفيالتخلصمن هذه الالامتزيدعن جهوده في محاولة جلب السعادة لنفسه . وحتى اذا كانت طبيعتـــه الخاصة تسعى وراء سعادته ، فهو في حياته المدنيـــة لا يكاد يحظى الا بتجنب الالام » .

وفي ١٩٣٩ نشر فرويد كتابه « موسى والتوحيد

Der Mann Monotheistishé Relegion . وفي هذا الكتاب اعتبر فرويد موسى مصريا وليس عبريا . وأكد صراحة أن الايمان بالتوحيـــد كان كشفا مصريا خالصا . وقد أعتمد فرويد في ما كتبه هنـــا على دراسات برستد Breasted التي توضح أن اخنـــاتون كان أول من نادى بالتوحيد .

وقد ذكر بريل ؛ وهو من أوائل تلاميذ فرويد . أن فـــرويد كان « يتخيل نفسه » عن معرفة ؛ أو عن غـــير معرفة . نبى اســـرائيل « الذى قاد شعبه بالصراحة الى الخلاص » • وقال أن تمثال مايكل أنجلو لموسى كان يملأ فرويد بالاعجاب والفخر «وخصوصا أصابع» التمثال التى تسند جانب الوجه » والتى تجعل من طريقـــة جلوس فرويد أقرب ما تكون الى طريقة جلوس موسى •

أهم مؤلفات فرويد

١٨٩٥	(بالاشتراك مع بروير) دراسات عن الهستيريا	Studien uber Hysterie
١٩٠٠	تفسير الاحلام	Die Traumdeutung
١٩٠١	سيكوباثولوجية الحياة اليومية	Zur Psychopathologie des Altagslebens
١٩٠٥	ثلاث مقالات في نظرية الجنس	Drei Abhandlungen Zur Zexualtheorie
١٩١٠	حول التحليل النفسي	Uber Psychoanalyse
١٩١٣/١٤	الطوطم والتابو	Totem und Taboo
١٩١٤	مقدمة في حب الذات	Zur Einfuhrung des Narzissmus
١٩١٦	ليوناردو دافنشي دراسة سيكو جنسية عن ذكريات طفولته	Leonardo da Vinci
١٩٢٠	ماوراء مبدأ اللذة	Tenseits des Lustprinzips
١٩٢١/٢٢	سيكلوجية الجماهير وتحليل الايجو (الانا)	Massenpsychologie und Ich - Analyse
١٩٢٣	الايجو (الانا) والايد (الهو)	Ego und Id
١٩٢٦	مسألة التحليل النفسي	Die Frage der Laienanalyse
١٩٢٧	مستقبل وهم	Zukunft der ein Illusion
١٩٣٠	أمراض التمدن	Zivilisation und Seine Unzufriedenheit
١٩٣٤/٣٨	موسى والتوحيد	Der Mann Moses und die Monotheistische Religion

اهم المراجع

(بالاضافه الى اعمال فرويد فى اللغات الانجليزيه والالمانية والفرنسية)

أحمد عكاشه : علم النفس الفسيولوجى والطب النفسى المعاصر

سلامه موسى : عقلى وعقلك

سيجموند فرويد : (ترجمه د. أحمد عكاشه مع مقدمه) : ليوناردو دافنشى

(تلخيص د. عبد المنعم الحفنى) : الحرب والحضارة والحب والموت .

Allenberger	The Discovery of the Unconscious
Jones	Life of Freud
Klein	The Psychoanalysis of Children
Klein & Riviere	Love, Hate and Reparation
Ludwig	Doctor Freud
Mannoni	Freud
Rycroft	Psychonalysis Observed
	A Criticel Dictionary of Psychoanalysis
ıchs	Freud, Master and Friend
	The Life of Freud
	Freud

الفهـــرست

نعتذر لاختلاط موضعى الصورتين بصفحتى ١٣ و ١٩



المستقبل بالقاهرة والإسكندرية
ومؤسسة المعارف ببيروت





